

العدد ٩٨٨ - الاثنين ١٠ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ - الموافق ٢٠١٨/١٢/١٧م

المؤتمر العالمي للوحدة الإسلامية

مخاطر التصنيف والإقصاء

تعزيز مفاهيم الدولة الوطنية وقيمها المشتركة

العمل الإسلامي أهدافه ومقتضياته

واقع التعليم الإسلامي في أفريقيا



الوحدة الإسلامية المأمولة

لقد دعا الله -تعالى- المسلمين في القرآن الكريم إلى التآلف والتآخي والوحدة، وحذرهم من الفرقة والاختلاف، قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، وقال عزّ من قائل: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾، وقال جل جلاله: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

لا شك أن سعي المملكة العربية السعودية برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز إلى جمع كلمة المسلمين، والبحث في سبل توحيد صفوفهم ولم شملهم، من خلال مؤتمر عالمي جمع قرابة ١٢٠٠ عالم وشخصية دينية وإسلامية، وبمشاركة أكثر من ١٢٧ دولة خطوة مباركة ومنطقية، وتنسجم مع تعاليم الإسلام، وحركة التاريخ العالمي، والمصلحة الإسلامية والإنسانية العليا، كما أنها تأتي في فترة الأمة في أمس الحاجة إليها؛ فإنَّ الناظرَ لأحوال المسلمين اليوم يصيبه الأسى والألم والحسرة؛ لما تشهده من خلافات مزقت كيانها، وشتت جمعها، وهو واقع ملموس لا يحتاج إلى برهان.

ولا شك أن الوحدة الإسلامية مطمح كل مسلم يطلب وجه الله ورضوانه، ويريد خير الأمة الإسلامية وصلاحها؛ فالفُرقة والاختلاف والعداوة والبغضاء عمل شيطاني لا يؤدي إلا إلى إهدار الطاقات الفردية والاجتماعية بأنواعها، الأمر الذي يؤدي إلى التنافر والتناحر، ثم الفشل الذريع والخسران المبين.

من هنا فإن السبيل الأول والأساس لتحقيق الوحدة الإسلامية هي عقيدة التوحيد الصافية؛ فهي العقيدة الوحيدة القادرة على جعل من يؤمن بها أمةً من دون الناس، يحكمها منهج واحد، وتنتهي إلى غايات واحدة، كما أن تلك العقيدة بما يتبعها من أحكام ونظم تحدد أساليب التعامل بين هذه الأمة وبين غيرها من الأمم، وهذا كله يجعل تحقيق الوحدة بين شعوب العالم الإسلامي أمرًا طبيعيًا بدهيًا، ولا سيما أن غير المسلمين ينظرون إليهم على أن لهم من التجانس والتميز ما يجعلهم جميعًا في خندق واحد، وهذه العقيدة هي التي تربي الفرد والمجتمع وفق قيم ومعايير تزول معها كل ألوان الصراع المصلحي المادي؛ فالإسلام يخلق بين الأفراد وحدة في القلوب والأفكار، ووحدة في الهدف والمسير، ووحدة في المصالح والطموحات.

فالإسلام انطلق من أرض تسودها أنواع الصراع القبلي والعنصري والطبقي، وما أن انتصرت كلمته حتى تمخض عن مجتمع رافض للتمييز العنصري (الأسود والأبيض) أو طبقي (السيد والعبد) أو قبلي (قريش وغيرها)، وساد الإخاء بين أفراده، ومن أول مواثيقه المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وزال الصراع الدامي بين القبائل العربية.

إن الاجتماع باسم الإسلام هو اجتماع لا يقوم على المغالبة، بل على الأخوة العامة، والمودة الراحمة التي يحث عليها الدين القويم، وهو أن يكون المسلمون أمّة واحدة مُتَّحدة، أن يكونوا أمّة إسلامية لا مجرد شعوب إسلامية، والفرق بينهما يتجلى في عنصر الهدف الواحد الذي يسعى لأجله الجميع، وأن يكونوا أمّة واحدة لا تفرقها قوميات ولا عرقيات ولا أيديولوجيات تخالف عقيدتها.

ولا شك أن أمتنا الإسلامية تمتلك أسسًا مشتركة تستطيعَ بها أن تجمع شتاتها، وتوحد كلمتها؛ فهي أمة واحدة، ذات دين واحد، وكتاب واحد، ورسول واحد، وهذه هي الأصول والأسس التي تشترك فيها الأمة الإسلامية؛ فإذا ما أدركت جيدا، والتزمت بمقتضياتها؛ فإن ذلك يجعل منها أمة واحدة، تلتقي على: وحدة الغاية، ووحدة العقيدة، ووحدة القيادة، ووحدة التشريع؛ وبهذا تصبح الشعوب الإسلامية (أمة واحدة)، تذوب فيها مختلف الأجناس والتجمعات، وشعارها: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فتحقق للأمة الإسلامية عزتها وقوتها المنشودة.

الأمين العام المساعد للشؤون المالية والإدارية للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة في زيارة لجمعية إحياء التراث

استقبلت جمعية إحياء التراث الإسلامي الأسبوع الماضي الأمين العام المساعد للشؤون المالية والإدارية للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، وعضو مجمع البحوث الإسلامية، د. حامد أبو طالب؛ حيث كان في استقباله عدد من أعضاء مجلس إدارة الجمعية والمسؤولين فيها.

جولة تفقدية

في البداية قام د. أبو طالب بجولة تفقدية لمعرض الجمعية؛ حيث اطلع على مشاريع الجمعية، سواء الإغاثية أم الدعوية؛ حيث قام أمين السر ببيان تفصيلي لتلك المشاريع، كما تعرف الضيف الكريم على جهود الجمعية في محاربة الإرهاب والتطرف والغلو في الدين، من خلال إصداراتها المتعددة ولا سيما مكتبات طالب العلم التي لاقت إعجابا كبيرا منه.

الكويت بلد العطاء

وبعد ذلك ألقى د. أبو طالب كلمة وسط الحضور أكد فيها على أنه في غاية السعادة قائلاً: هذا النشاط الرائع، يدل دلالة واضحة على أن العبارة التي أطلقتها اليوم في المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية وهي أن الكويت بلد العطاء، حقيقة مؤكدة، وقد قلت هذا الكلام أيضًا اعتمادًا على ما فعلته الهيئة الخيرية من اقتراح إطعام مليار جائع على مستوى العالم في عام ألفين ولعام ألفين وتسعة عشر، وإذا بالتبرعات تنهال على الهيئة.

جهود إحياء التراث

وأضاف، لا شك أن الكويت بلد العطاء، والوثائق التي رأيتها في هذه الجمعية المباركة جمعية إحياء التراث التي تبين الإحصاءات عن أعمال الخير التي تقوم بها، تؤكد تماما على أن الكويت بلد العطاء؛ فإذا كانت جمعية واحدة تقوم بمثل هذه المشاريع على مستوى العالم، جمعية واحدة تنشئ في العام الواحد خمسمائة مسجد، وتكفل أعدادًا كبيرة من طلاب العلم، إلى آخر هذه المشاريع التي تعود بالخير على العالم أجمع، فلا شك أن هذا عمل عظيم.

آفة فعل الخير

لذلك أجد نفسي في قمة السعادة أن أجد هذا النشاط في دولة الكويت الشقيقة الحبيبة، وأود

أن أقول لحضراتكم: تسلل بعض أهل الشر إلى مؤسسات الخير، فهم يحاولون جذب المؤسسات الخيرية التي تفعل الخير، لفعل الشر؛ فلنحذر من ذلك، ونصيحتي لحضراتكم أن تتعاونوا جميعًا على أن ننأى ونبتعد بالجمعية عن أي من هؤلاء، وأن ننتبه لهم، حتى وإن كانت نواياهم في الظاهر طيبة؛ فالأفضل أن نبتعد عنهم.

لزوم الاعتدال

وأكد د. أبو طالب على أهمية لزوم الاعتدال، مضيفًا: لقد شاهدته -والحمد لله- بعيني، لكن من باب: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا﴾ فهم مؤمنون، لكنه نداء للاستمرار على الإيمان.

عدم التمييز

وأشار د. أبو طالب على أهمية عدم التمييز في تقديم الخدمات قائلاً: يجب ألا نميز بين مسلم وغير مسلم؛ لأن صنائع المعروف التي تفعلونها في الناس، إذا صنعناها في بلاد غير مسلمة أو في مناطق متاخمة للمسلمين ستفتح باب خير كبير على المسلمين، وإذا قدمنا الخير والمعروف لغير المسلم ولاسيما إذا كان جائعًا، أو كان مريضًا، أو كان يتيمًا، وما إلى ذلك؛ فهو لابد أن ينضم إلى صفوف المسلمين أو على الأقل لا يكون عدوًا لهم.

المعاملة الحسنة

مشيرًا إلى أن أكبر الدول الإسلامية دخلت في الإسلام بالمعاملة الحسنة، وليس بالحروب، وليس بالجيوش، وإنما بالمعاملة الحسنة، وبتقديم الخير للناس، وأنتم تقدمون الخير للناس؛ فجزاكم الله خيراً، وجعله في ميزان حسناتكم، ونفع بكم وبذرياتكم، وبارك في أعماركم، وأحسن أعمالكم.

لجنة آسيا الوسطى

وفي إطار تعريف د. أبو طالب بجهود لجان الجمعية قام رئيس لجنة آسيا الوسطى الشيخ محمد الشمري بعرض لجهود لجنة آسيا الوسطى، قائلاً: مشاريع اللجنة تشمل الدول التي استقلت عن



الاتحاد السوفيتي، وهذه الدول وإن كانت أصولها إسلامية، إلا أنها تعرضت لمحاولات لإبعادها عن الإسلام، وإبعادها عن كتاب ربها وسنة رسولهاﷺ أكثر من سبعين عامًا، وهذه البلاد -ولله الحمد- بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، رجعت إلى هذا الدين، ورجعت بقوة، بل حتى من كانوا على دين النصرانية في هذه البلاد دخلوا في الإسلام بأعداد كبيرة جدًا.

ولله الحمد اللجنة عملت ما بوسعها في هذا المجال؛ فكفلت كثيرًا من الدعاة، وكفلت كثيرًا من الأيتام، كما أن اللجنة اعتنت عناية كبيرة جدًا بترجمة الكتب المهمة من كتب أهل السنة والجماعة؛ فقامت بترجمة وطباعة أكثر من مئتين وخمسة وأربعين عنوانًا، إلى لغات متعددة أهمها اللغة الروسية، وهذه اللغة هي الجامعة لجميع هذه اللغات الموجودة في آسيا الوسطى، وكذلك في اللغة الطاجيكية، واللغة الأوزباكية، واللغة الكازوخية، واللغة التركية كذلك؛ فاللغات متعددة في هذه البلاد، واللغة الأوكرانية؛ فالكتاب داعية إذا توقف الداعية، ولله الحمد أسلم بسبب هذه الكتب ناسٌ كثيرون، ونتيجة لهذه الجهود حصل المسلمون على حقوقهم ولاسيماً في الجيش؛ حيث سمح لهم بالصيام في رمضان، وتم التخفيف عنهم، وكذلك في وقت الصلوات يعطون المجال للصلاة، وبنيت مساجد داخل معسكرات الجيش، وهذا يحصل لأول مرة في المعسكرات الشيوعية -ولله الحمد.

والآن لدينا -بفضل الله- في روسيا أكثر من مائة داعية مكفولين من اللجنة، وهناك عشرات، بل مئات الطلبة يدرسون في الأزهر؛ حيث قمنا بتوجيههم إلى الأزهر، وإلى الجامعات السعودية، والكويت، والجامعات العربية، وكل ذلك على نفقة اللجنة.

لجنة إغاثة سوريا

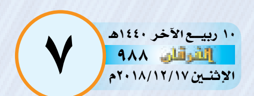
وعن جهود لجنة إغاثة سوريا تكلم رئيس اللجنة الشيخ: عبد العزيز بوقريص، الذي رحب بالضيف مؤكدًا على أنه في بلده الثاني، ثم أكد على أن لجنة إغاثة سوريا كانت بادرة من بوادر صاحب السمو أمير البلاد؛ حيث كانت الكويت من أوائل الدول التي بادرت بإعلان الإغاثة للشعب السوري المنكوب.

وأضاف بوقريص، كان التركيز حقيقةً في بداية الأمر على إغاثة الناس في المأكل والمشرب والمأوى، ولكن لاستمرار الأحداث والمدة الطويلة الآن ما يقارب ثماني سنوات أو قريب منها، باتت الحاجة الملحة إلى أمور التعليم، وأمور الصحة، وأمور الإضاءة، أكثر من سواها؛ فكان التركيز من اللجنة على هذه الأمور.

كما أكد بو قريص على أنه بجانب اهتمام اللجنة بالجانب الإغاثي، كذلك كان هناك اهتمام بالجانب الدعوي والتوعوي؛ فكثير من السوريين لما خرجوا من سوريا، كان عندهم جهل كبير بالمسائل الشرعية، بل إن بعضهم كانت هذه المسائل عنده تكاد تكون منعدمة إلا من رحمه الله-عز وجل-؛ لذلك كان الأهم في هذا هو أمر التعليم الدعوي، والديني، والشرعي، لذلك أنفقنا -ولله الحمد- الكثير على إنشاء المدارس التي تدرس المنهج التعليمي العام، فضلا عن المنهج الديني، وهذا العمل وجدنا ثمراته الآن؛ حيث بدأت تظهر في أعداد الخريجين من حلقات تحفيظ القرآن والمعاهد الشرعية، وهذا غيض من فيض.



د. أبو طالب يتفقد جناح مجلة الفرقان خلال جولته بمعرض الجمعية





رابطة العالم الإسلامي عقدت مؤتمر: (الوحدة الإسلامية - مخاطر التصنيف والإقصاء)

تقرير: وائل رمضان

تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود أقامت رابطة العالم الإسلامي الأسبوع الماضي وعلى مدى يومين متتالين ١٢ – ١٣ ديسمبر، مؤتمر: (الوحدة الإسلامية - مخاطر التصنيف والإقصاء).

وقد شارك في المؤتمر أكثر من ١٢٠٠ شخصية من القيادات الدينية والفكرية والأكاديمية من ١٢٧ دولة، بهدف وضع خطة استراتيجية شاملة للتصدي لمشاريع الكراهية والصراع الطائفي، وإيجاد قنوات للتواصل بين أتباع المذاهب الإسلامية لبناء جسور الثقة والتفاهم والتعاون على المشتركات الإنسانية الجامعة، ومحاصرة الخطاب الطائفي والمتطرف، وجمع كلمة العلماء والدعاة، وتقريب وجهات النظر بينهم، والتأكيد على مسؤوليتهم في توحيد صف المسلمين وجمع كلمتهم، ونشر قيم الوسطية وتعميق أواصر التآخي والتآلف بين المسلمين ونبذ خطاب العداء والفرقة، فضلا عن بحث مسألة الخصوصية المذهبية وثقافة الاختلاف، ومناقشة معوقات الوحدة الإسلامية والدعاوى الطائفية الرامية لبث التكفير والتطرف والفكر الطائفي، ومناقشة سبل الشراكة الحضارية مع غير المسلمين وسُبُل مواجهة (الإسلاموفوبيا).

تحقيق آمال المسلمين

وفي كلمة افتتاح المؤتمر أكد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز، على أن السعودية ستواصل التزاماتها ومبادراتها بما يحقق آمال المسلمين، في كلمة ألقاها نيابة عنه الأمير خالد الفيصل، مستشار خادم الحرمين الشريفين، أمير منطقة مكة المكرمة، مؤكدًا على أهمية «نشر الوعي، وتصحيح المفاهيم المغلوطة، واستيعاب سنة الاختلاف، من خلال مد جسور الحوار والتفاهم والتعاون، نحو الوفاق والوئام والعمل الجاد، والنظر للمستقبل بأفق واعد، مفعم بروح الأخوة والتضامن».

علماء الأمة الأجلاء

وقال الملك سلمان بن عبد العزيز: «أثمن عالياً تداعي هذه النخبة من علماء الأمة الأجلاء إلى هذا المؤتمر؛ استشعاراً لواجبهم الشرعي في رأب الصدع المهدد لأمتهم، ونبذ الخلاف، وتوحيد الصف، والاتفاق على خطاب واحد نتوجه به إلى العالم، والأمل معقود على هذه المشاعل الوضاءة بالعلم الراسخ، لإقالة عثرات الأمة، وتحقيق وحدتها الجامعة، التي ليست موجهة ضد أحد؛ بل تسعى للتضامن من أجل خير الإنسانية جمعاء».

واقعنا المعاصر

وأشار خادم الحرمين إلى أن نظرة سريعة إلى واقعنا المعاصر، كفيلة بأن ندرك ضرورة تجاوز الصور السلبية التي أثقلت حاضرنا، وتلك التراكمات التاريخية وآثارها على مسار الأمة الإسلامية. وتابع: «لذا فنحن مدعوون إلى نشر

الوعي، وتصحيح المفاهيم المغلوطة، واستيعاب سنة الاختلاف، من خلال مد جسور الحوار والتفاهم والتعاون، نحو الوفاق والوئام والعمل الجاد، والنظر للمستقبل بأفق واعد مفعم بروح الأخوة والتضامن».

حسن الاختيار

ولفت إلى أن رابطة العالم الإسلامي أحسنت باختيارها (مخاطر التصنيف والإقصاء) عنواناً لهذا المؤتمر، وجعلت تعزيز مفاهيم الدولة الوطنية وقيمها المشتركة أحد محاوره؛ سعياً لجمع كلمة علماء الأمة ودعاتها ومفكريها، للبناء على المشتركات، والتقريب بين الرؤى، وترشيد ثقافة الاختلاف، والعمل طبقاً لوسطية الإسلام واعتداله، التي انتشرت على أساسها حضارته، لتغطي نحو ثلث العالم.

التصدي للمعوقات

وأضاف الملك سلمان بن عبد العزيز: «عالمنا الإسلامي بأسره، يتطلع اليوم إلى هذا الجمع المبارك، ويضع آماله كلها في أن يتصدى مؤتمركم الموقر للمعوقات التي تحول دون قيام وحدته الجامعة، وترسخ حال الفرقة والشتات، والتنازع الذي حذرنا منه المولى - جل وعلا - في قوله -الكريم-: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾. ولا شك أنكم تجتمعون اليوم لمهمة ليست بالهينة، نظراً لكونها تعالج تراكمات كثيرة، وعداءات أكثر من الناقمين على أمة الإسلام الذين يجردون حملة شرسة على دينها وأخلاقها وثقافتها وحضارتها، وينسبون للإسلام ما ليس فيه، مستغلين انحراف الغالين في الاتجاهين؛ لكنكم بعزائمكم القوية وعلمكم الراسخ، قادرون بإذن الله على تحقيق هذه الوحدة الإسلامية الجامعة، حلم أبناء أمتكم على امتداد المعمورة، كي تستأنف الأمة دورها التاريخي قدوة حسنة للعالم أجمع».

اجتماع الكلمة ووحدة الصف

إلى ذلك، شدد عبد العزيز آل الشيخ، المفتي العام للسعودية، رئيس المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي، على أهمية أن يحرص المسلمون على اجتماع كلمتهم ووحدة صفهم، في ظل تعاليم الإسلام، كما جاء في الكتاب والسنة، والسير على منهاج سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، والحذر من التفرق والاختلاف والتناحر والانقسامات والتحزبات التي فرّقت بين المسلمين، وشتتت جمعهم، وباعدت بينهم.

السبب الرئيس

من جهته بين الدكتور محمد العيسى، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، في كلمته، أن استطلاعات الرابطة التشخيصية أثبتت أن السبب الرئيس لعدد من السلبيات والتداعيات يكمن في ثلاثة أمور: «أولها غياب الحوار المنفتح بأدبه العالي، فالإنسان عندما ينغلق على نفسه أو على مجموعته الخاصة، إنما يدور حول ذاته في حلقة مفرغة تستحكم مع الزمن، منكفئة على نفسها ومتوجسة من غيرها، وثانيها السجالات العقيمة بين المذاهب والطوائف بذرائع واهية عادت بمفاسد تفوق مصالحها المتوهمة، وشاهد ذلك حالة التداعي المطّرد بينها، وثالثها التهافت السلبي على الريادة الروحية في خصوص شأنها العلمي والفكري. وهنا نقول إنه لا ريادة حصرية في ذلك لأي فرد ولا مؤسسة، إذ لا كهنوت في الإسلام».

مضيفاً: «إنّ هذا اللقاء الوحدوي في تقريبه للرؤى والاجتهادات، والتفافه حول المشتركات، يدفع بمشاعر الأُخُوّة الإسلامية نحو التطلع الأمثل، ويحذر من مخاطر التصنيف والاقصاء، مع تعزيزه لمفاهيم الدولة الوطنية وقيمها المشتركة، ويُعدُّ الأول من نوعه «كماً وكيفاً» تحت مظلة رابطة الشعوب الإسلامية في رحاب مكة المكرمة.

تأكيدٌ ربانيٌّ

وفي كلمته التي ألقاها الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي الدكتور يوسف بن أحمد العثيمين قال فيها: «إن الله -سبحانه وتعالى- امتدح المسلمين بقوله: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ في تأكيد رباني يدعم وحدة الأمة الإسلامية، ومصيرها المشترك، وهو ما يلقي بمسؤوليات جسام على دولنا الإسلامية للعمل على تحقيق مقتضيات تضامن الأمة، واجتماع الكلمة، وتوحيد الصف، وتجاوز كل ما يفرق لُحمتها ويضعف قوتها، والتوافق حول المشتركات التي تعزز من تكاملها، وتدعم تماسكها، وتؤسس لتعاون بين دولها أكثر اطمئنانا في ظل المقاصد المقدسة لهذا التوجيه الرباني».

إدارة الحوار والتواصل

وأشار إلى أن منظمة التعاون الاسلامي أنشأت إدارة باسم الحوار والتواصل بهدف مد الجسور بين مختلف الأطياف دون تمييز؛ من أجل مكافحة نزعات الإقصاء والتصنيف، وكذلك التعاون الوثيق مع هيئات كبرى لتحقيق الغرض ذاته مثل: رابطة العالم الإسلامي، ومركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات.

جمع كلمة العلماء

من جانبه، أوضح مفتي لبنان الدكتور عبداللطيف دريان أن المؤتمر يسعى لجمع كلمة العلماء والدعاة، وتقريب وجهات النظر حول قضايا الوحدة الإسلامية، وترسيخ مفاهيم الوسطية والاعتدال وقيمهما، وتعميق أواصر التآخي والتآلف بين المسلمين، ونبذ خطاب التفرّق والتشتت والتصنيف والإقصاء.



رئيس جمعية إحياء التراث الشيخ طارق العيسى مشاركا في المؤتمر

شرح كتاب الجنائز من صحيح مسلم

باب: نهي النساء عن اتباع الجنازة

كتب: الشيخ محمد الحمود النجدي

«عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ -رضي الله عنها- قالت: كُنَّا نُنْهَى عَنْ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا»، هذا الحديث رواه مسلم في الجنائز (٢/٦٤٦) وبوب عليه النووي كتبويب المنذري، ورواه البخَاري (١٢٧٨) في كتاب الجنائز أيضاً، باب اتباع النساء الجنائز، وقولها: «نُهينا عن اتباع الجنَائز» أي: إلى أنْ نصل بها إلى القُبور. ورواه البخاري في الحيض: عن حفصة عنها بلفظ: «كنَّا نُهينا عن اتباع الجنائز».

قولها: «نُهينا» ذهب الشافعي وأحمد وأكثر الأئمة والمُحدثين: أنه يجب إضافة ذلك إلى النبي -عليه الصلاة والسلام.

قال الآمدي: فإذا قال الصحابي منهم: أُمرنا أو نُهينا كان الظاهر منه أمرُ النبي -ﷺ- ونهيه، ولا يُمكن حمله على أمـر الكتاب ونهيه؛لأنه لو كان كذلك لكان ظاهراً للكل، فلا يختصُّ بمعرفته الواحد منهم، ولا على أمر الأمة ونهيها؛لأنَّ قول الصحابي: أمرنا ونهينا، قول الأمة، وهم لا يأمرون وينهون أنفسهم، ولا على أمر الواحد من الصحابة؛ إذْ ليس أمر بعضهم لبعض؛ أولى من العكس. (انظر: كتاب الإحكام في أصول الأحكام).

نهي النبي -ﷺ-

وقد رواه الإسماعيلي بلفظ: «نَهانا رسولُ الله -ﷺ-..». وفيه ردٌّ على من قال: لا حُجة في هذا الحديث. ويؤيد رواية الإسماعيلي: ما رواه الطبراني من طريق إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية عن جدته أم عطية قالت: «لَمَّا دَخَل رسولُ الله -ﷺ- المدينة؛ جمعَ النساء في بيت، ثم بعث إلينا عمر، فقال: إني رسول رسـول الله إليكنَّ، بعثني إليكنَّ لأبايعكن على أنْ لا تُشركن بالله شيئاً». الحديث. وفي آخره: «وأمرنا أنْ نُخرج في العيد العواتقَ، ونهانا أنْ نَخرج في جنازة».

اتِّباع الجنائز

وقـد مضت سُنَّة النبـيِّ -ﷺ- على أنَّ اتِّباع الجنائز من بيتها حتى يُصلَّى عليها، واتِّباعها حتى تُدفن، وتولِّي حملها ودفنها، من خصائص الرِّجال، وليس للنساء حظٌّ في ذلك، وهو الذي جَرَى عليه عمل السلف الصالح؛ فعن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله -ﷺ- قال: «إذَا وُضعت الجنازةُ؛ واحتمَلَها الرِّجالُ على أعناقهمْ، فإنْ كانت صالحةً؛ قالت: قَدِّمُوني، وإنْ كانت غيرَ صَالحَة؛ قالت: يا ويلَها أينَ يَذهبُونَ بها؟ يَسمَعُ صَوتهَا كُلُّ شيءٍ إلاَّ الإنسانَ، ولو سَمعَهُ صَعقَ». أخرجه البخاري في صحيحه (١٣١٣) وبوَّب عليه: بابُ حمل الرِّجالِ الجنازةَ دُون النساء؛ قال النووي في المجموع (٥/ ١٦٦): «قالَ الشافعيُّ في الأمِّ والأصحابُ: لا يَحملُ الجنازةَ إلاَّ الرِّجالُ، سواءً كانَ المَيِّتُ ذكراً أو أُنثى، ولا خلافَ في هذا».

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ رسولَ الله -ﷺ- قال: «مَن اتَّبعَ جَنازةَ مُسلم إيماناً واحتساباً، وكـان معه حتى يُصلَّى عليها، ويُفـرَغَ من دفنها، فإنه يَرجعُ من الأجـرِ بقيراطين». أخرجه البخاري (٤٧).

قولها: «ولم يُعزم علينا»

قولها: «ولـم يُعـزم علينا» أي: ولـم يؤكد علينا في المنع، كما أكَّد علينا في غيره من المنهيات؛ فكأنها قالت: كره لنا اتباع الجنائز من غير تحريم. قال النووي: وقولها: «ولم يُعزم علينا» معناه: نُهينا نهياً شديداً غير مُحتّم، ومعناه: كراهة تَنَزيه ليس بحَرام. اهـ

وقال ابن حجر: قولها: «ولَمْ يَعْزَم عَلَيْنَا»، أَيْ: ولَمْ يُؤَكِّد عَلَيْنَا في المَنْع؛ كما أَكَّدَ علينَا في غيره منَ المَنْهيَّات، فكأنَّهَا قالت: كَرهَ لنَا اتِّبَاع الجَنَائز منْ غَيْر تَحْريم، قال الإمامَ ابن تيمية: «قد تكونُ هيَ -رضيَ الله عنها- ظنَّت أنه ليس بنهي تحريم، والحُجَّة في قول النبيِّ -ﷺ-؛ لا في ظنِّ غيره». مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٥٥).

وقال الإمام ابنُ القيم: «وقولها: «ولم يُعزم علينا» إنما نفتْ فيه وصف النَّهي، وهو النهي المؤكَّد بالعزيمة، وليس ذلك شرطاً

يُكره للمرأة قصد الذهاب إلى المساجد للصلاة على الجنائز إنْ لم يحرم؛ لأنه من اتباع الجنائز المنهي عنه

في اقتضاء التحريم، بل مجرَّد النهي كاف، ولَمَّا نهاهنَّ انتهين لطواعيتهنَّ لله ولرسوله -ﷺ-، فاستغنين عن العزيمة، وأمّ عطية لم تشهد العزيمة في ذلك النهي، وقد دلَّت أحاديث لعنة الزائرات على العزيمة؛ فهي مُثبتة للعزيمة؛ فيجبُ تقديمها، وبالله التوفيق» تهذيب السنن (٣/ ١٥٥٦).

وقال النووي: «هذا الذي ذكرناه من كراهة اتباع النساء الجنازة هو مذهبنا، ومذهب جماهير العلماء، حكاه ابن المنذر عن ابن مسعود، وابن عمر، وأبي أمامة، وعائشة، ومسروق، والحسن، والنخعي، والأوزاعي، وأحمد، وإسحق، وبه قال الثوري». المجموع (٥/ ١٧١).

القول بالكراهة عند السلف

ومن المعلوم أنَّ القول بكراهة اتباع النساء للجنائز عند السلف هو بمنزلة المنع والتحريم؛ فإنَّ التفرقة بين نهي التنزيه والتحريم في عُرف الصحابة غير مستقر؛ فلم يُفرِّقوا فيه، بل كانوا يجتنبون المكروه تنزيهاً وتحريماً مطلقاً؛ إلا لضرورة.

أدلة الباب

ومن الأدلة في الباب: حديث أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: شَهدنا بنتَ رسولِ الله -ﷺ-، ورسولُ الله -ﷺ- جالسٌ على القبرِ، فرأيتُ عينيه تدمَعان، فقال: هل فيكم من أَحَد لم يُقارفِ الليلةَ؟ فقال أبو طلحةَ: أنا، قال: فانزلْ في قبرها، فنَزلَ في قبرهَا فقَبَرَها». أخرجه البخاري (١٣٤٢)، ومعلومٌ أنها كانت لها أخوات كفاطمة وغيرها من محارمها وغيرهنَّ هناك -رضي الله عنهن-؛ فدلَّ على أنه لا مدخلَ للنساء في إدخال القبر والدَّفن.

وقال ابن قدامة -رحمه الله-: وكيف يُشرَعُ لهُنَّ وقد نهاهُنَّ رسولُ اللهِ -ﷺ- عن اتِّباعِ الجنائز؟ ولأنَّ ذلكَ لو كانَ مشروعاً لَفُعِلَ في عصر النبيِّ -ﷺ- أو خُلَفَائه، ولَنُقِلَ عن بعضِ الأئمَّة، ولأنَّ الجنازةَ يَحضُرُها جُمُوعُ الرِّجال، وفي نُزُولِ النِّساءِ في القبر بينَ أيديهم هتكٌ لَهُنَّ، مَعَ عَجزهنَّ عن الدَّفن، وضَعفهنَّ عن حمل الميِّتة وتقليبها. المغني (٣/ ٤٣٣)، وقد وردت أقوال كثيرة عن السلف في تأييد ما سبق، منها:

١- عن الشعبي -رحمه الله- قال: خُروج النساء على الجنائز بدعة. أخرجه عبدالرزاق (٦٢٩٦).

٢- وعن إبراهيمَ النخعي قال: كانوا إذا أخرجُوا الجنازةَ أغلَقُوا البابَ على النساء. أخرجه ابن أبي شيبة (١١٤٠٢)، وقال أيضاً: كانوا يقفلون على النساء الأبواب، حتى يُخرجَ الرِّجالُ الجنائز. أخرجه عبد الرزاق (٦٢٩٣).أي: باب المسجد.

٣- وقال علقمة -رحمه الله-: لقنوني: لا إله إلا الله عند موتي، وأسرعوا بي إلى حُفرتي، ولا تنعوني؛ فإني أخافُ أنْ أكون كنعي الجاهلية؛ فإذا خرَجَ الرِّجالُ بجنازتي فأغلقوا الباب؛ فإنه لا أرب لي بالنساء. أخرجه عبدالرزاق (٦٠٤٦).

٤- وعن عبد الله بن مُرَّةَ عن مسرُوق -رحمه الله- قال: رأيتُه يَحثُو الترابَ في وُجُوه النساءِ في الجنازة، يقولُ لهنَّ: ارجعنَ، فإنْ رجعنَ مَضى مع الجنازة، وإلاَّ رَجَعَ وتركَها. أخرجه ابن أبي شيبة (١١٤٠٩).

٥- وكان الأوزاعيُّ -رحمه الله- يرى منْعَ النساء الخروج مع الجنائز. الأوسط (٥/ ٣٨٧).

٦- وعن ابن جريج قال: قلتُ لعطاء: خروج النساء على الجنائز؟ قال: يَفتنَّ. أخرجه عبد الرزاق (٦٢٩٥).

٧- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «إنَّ النبيَّ -ﷺ- علَّل الإذن للرِّجال: بأنَّ ذلك يُذكِّرُ بالموتِ، ويُرقِّقُ القلبَ، ويُدمعُ العينَ، هكذا في مسند أحمد، ومعلومٌ أنَّ المرأةَ إذا فُتحَ لها هذا البابُ أخرجها إلى الجزع والندبِ والنياحة؛ لما فيها من الضعفِ، وكثرة الجزع، وقلَّة الصَّبر.

وأيضاً: فإنَّ ذلكَ سَببٌ لتأذِّي الميِّت ببُكائها، ولافتتانِ الرِّجالِ بصوتها وصُورَتها، كما جاءَ في حديثٍ آخرَ: «فإنكُنَّ تَفتِنَّ الحيَّ، وتُؤذين الميِّتَ» مجموع الفتاوى (٢٤ / ٣٥٥-٣٥٦).

٨- وقال أيضاً: «الصلاةُ على الجنائز أوكدُ من زيارةِ القبور، ومَعَ هذا فقد ثبتَ في الصحيح: أنَّ النبيَّ -ﷺ- نهَى النساءَ عن اتِّباعِ الجنائز، وفي ذلك تفويتُ صلاتهنَّ على الميِّت؛ فإذا لم يَستحبَّ لَهُنَّ اتِّباعَهَا لِمَا فيها من الصلاةِ والثواب فكيفَ بالزِّيارةِ؟!». المصدر السابق (٢٤/ ٣٤٥).

٩- وقال ابن المنذر: «وقد روينا عن النبيِّ -ﷺ- أنه قال لامرأة: «صلاتُك في بيتك؛ خيرٌ من صلاتُك في حُجرتك، وصلاتكِ في حُجرتكِ خيرٌ من صلاتكِ في دارك، وصلاتك في دارِك؛ خيرٌ من صلاتكِ في مسجد قومك». فإذا كان هذا سبيلها في الصلاةِ وقد أُمرن بالسِّتر، فالقُعود من الجنائز أولى بهنَّ وأسترُ، واللهُ أعلم». الأوسط (٥/ ٣٨٨-٣٨٩).

١٠- وقال أبو بكر الطرطوشي: ومن البدع المنكرة عندَ جماعةِ العلماء: خروج النساء لاتباع الجنائز. كتاب الحوادث والبدع (ص ٣٣٦).

قصد الذهاب إلى المساجد

فعُلمَ ممَّا تقدَّم: أنه يُكره للمرأة قصد الذهاب إلى المساجد للصلاة على الجنائز إنْ لم يحرم؛ لأنه من اتباع الجنائز المنهي عنه، ولم يُنقل فيما نعلم: أنَّ نساء الصحابة -رضي الله عنهن- كُنَّ يحضرن للمسجد، أو مُصلَّى الجنائز لقصد الصلاة على الأموات، وأمَّا إذا حَضَرتِ المرأةُ إلى المسجد للصلاة فيه، كالمسجد الحرام أو المسجد النبوي وغيرهما، فوَافقت جنازة فلا بأسَ بالصلاة عليها مع الناس.

وكذا لو كانت الجنازة في بيتها فصلَّت

عليها فلا حَرَج في ذلك؛ لما أخرجه مسلم في صحيحه (ح١٠٠-٩٧٣): عن عبد الله بن الزبير يُحدِّثُ عن عائشةَ -رضي الله عنها-: أنها لَمَّا تُوُفِّيَ سعدُ بنُ أبي وقاص، أرسلَ أزواجُ النبيِّ -ﷺ- أن يَمُرُّوا بجنازَتِه في المسجد، فيُصَلِّينَ عليه، ففعلُوا، فَوُقِفَ بِهِ على حُجَرِهِنَّ يُصلِّينَ عليه، أُخرِجَ به من باب الجنائز الذي كان إلى المَقاعد، فبلَغَهُنَّ أنَّ الناسَ عابُوا ذلك، وقالُوا: ما كانت الجنائزُ يُدخَلُ بها المسجدَ، فبلَغَ ذلك عائشةَ، فقالت: ما أسرَعَ الناسَ إلى أن يَعيبُوا ما لا علمَ لهم به! عابُوا علينا أن يُمَرَّ بجنازة في المسجد! وما صلَّى رسولُ الله -ﷺ- على سُهيل بن بيضاءَ إلا في جوفِ المسجدِ. وكذا لو جُهِّزَ المَيِّتُ في بيته، وهي فيه فلا بأس بصلاتها عليه، والله أعلم.

هل النساءُ مثل الرِّجال؟

فإنْ قيل: ثبتَ عن النبيِّ -ﷺ- أنه قال: «مَن اتَّبعَ جَنازةَ مُسلم إيماناً واحتساباً وكان معه حتى يُصلِّي عليها، ويَفرُغَ من دفنها؛ فإنه يَرجعُ من الأجرِ بقيراطين، كُلُّ قيراط مثل أُحُد، ومَن صلَّى عليها ثمَّ رَجَعَ قبلَ أنْ تُدفنَ؛ فإنه يَرْجِعُ بقيراط». أخرجه البخاري (٤٧). والنساءُ مثل الرِّجال!

فالجوابُ: ما قاله الإمام ابن تيمية: «قد عُلِمَ بالأحاديث الصَّحيحة: أنَّ هذا العُمُومَ لم يَتناول النساءَ، لنهي النبيِّ -ﷺ- لَهُنَّ عن اتِّباع الجنائز، سواءٌ كانَ نهيَ تحريم أو تنزيه» مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٤٦)، وقال الحافظ ابن حجر: «قال الزين بن المنيِّر: فَصلُ المصنف بين هذه الترجمة - أي قول البخاري: باب اتِّباع النساء الجنائز - وبين فضل اتباع الجنائز بتراجم كثيرة تُشعر بالتفرقة بين النساء والرِّجال، وأنَّ الفضل الثابت في ذلك يختصُّ بالرِّجال دون النساء؛ لأنَّ النهي يقتضي التحريم، أو الكراهة، والفضل يدلُّ على الاستحباب، ولا يجتمعان، وأطلق الحكم هنا؛ لما يتطرَّق إليه من الاحتمال، ومن ثَمَّ اختلَف العلماءُ في ذلك، ولا يخفى أن محلَّ النزاع إنما هو حيث تُؤمَنُ المفسدة». فتح الباري (٣/ ١٤٥).

منهج الأنبياء في حمل الشرائع وتبليغ الأوامر

كتب: الشيخ فتحي الموصلي

قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾، يدرك كل صاحب بصيرة أن منهج الأنبياء في تلقي الشرائع وتنفيذ الأوامر، وفي التزكية والترقية، وفي التكليف والتبليغ منهج حكيم وسديد، وقد لخصته الآية في قوله -تعالى-: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾، ففي التلقي تأتي القوة، وفي التبليغ والتعليم والتمسك يأتي الحُسن والأحسن.

ولذا يتعين على القائم بأمر الدعوة أن يحمل الدعوة بقوة؛ فإذا أراد أن يأمر أو ينهى أو يبلغ غيره عليه أن يختار لهم الأحسن؛ إذ قد لا يصلح لهم الأقوى، ومن الأخطاء الفاجعة والأفعال المؤلمة في الدعوة خطآن:

الأول: عندما يأخذ الداعية الشرع بالقوة ويريد من غيره أيضا أن يحمله بالقوة من غير ملاحظة الفروق بينه وبينهم.

والخطأ الثاني: أن يختار الداعية لنفسه الأحسن والأصلح ويختار للناس الأقوى.

لكن القرآن فصّل: إذا أخذت الدين فخذه بقوة، وإذا بلغته للناس فأمرهم بالأحسن، وهذا هو الأصل العام.

والفقيه يميّز بين مقام القوة ومقام الأحسن؛ إذ هما من دقيق العلم والفهم.

ويدخل في الأخذ بالقوة خمسة أمور: «القوة في الإرادة والنية، القوة في الانقياد والامتثال، القوة في العلم والبصيرة، القوة في الأخذ بالعزيمة، وقوة الإيمان في القلب».

ويدخل في الأمر بالأحسن أمور خمسة أيضاً: «يختار لهم الأحسن في الثواب، والأحسن من الأحكام، والأيسر من الأفعال، والراجح من الأقوال والأفعال، والأصلح في الحال والمآل».

هما مقامان: مقام للنفس ومقام لغيرها؛ ففرق بين ما يحمل عليه الداعية نفسه، وبين ما يحمل عليه غيره في سلم التربية ومدارج الترقية ولاسيما مع كثرة الشواغل، وعموم البلوى، وانتشار الفتن، والتعلق بالحظوظ وضعف الهمم.

وهذه الوقفة التأملية هي حد دقيق بين الحكمة والشدة، وبين الاعتدال والإسراف، وبين التدرج والتعجل.





آيات الله (٤)

بقلم: د. أميـــر الحـداد(*)
www.prof-alhadad.com

- كتاب الله -القرآن- فيه ست آلاف ومئتان وست وثلاثون آية، عدا البسملات، كل آية معجزة؛ لأنه كلام الله الذي تكلم به على الحقيقة، ونزل به جبريل -عليه السلام- على محمد ﷺ خلال فترة زمنية، امتدت لثلاث وعشرين سنة.

قاطعني.

- نعلم أن الكتب السماوية هي: الزبور، وصحف إبراهيم، والتوراة، والإنجيل، والقرآن، لماذا لا تعد الكتب الأخرى أيضاً معجزات من الله -عز وجل-؟ بمعنى لماذا مثلا لم يُعجز موسى قومه بالتوراة على أن يأتوا بمثله، وأعجزهم بالعصا واليد؟!

- سؤال جميل، من رجل جميل في فكره ومنطقه.

قلتها مداعبا صاحبي (بو مشعل) ونحن في طريقنا إلى مزرعته بعد صلاة الجمعة للإعداد لاجتماع رواد المسجد الشهري؛ حيث يستضيف أحد العلماء أو طلاب العلم، ثم يقدم العشاء، ومنهم من يقضي ليلته هناك إلى فجر السبت؛ حيث يمارسون هواية صيد الطيور.

- أولاً: كان الهدف من إنزال التوراة هو بيان المنهج، ولم تكن البلاغة، والفصاحة هي أفضل ما يتقنه بنو إسرائيل، بل كانوا يتحدون بعضهم بعضا في السحر؛ ولذلك جمع فرعون أفضل السحرة، يقول -تعالى-: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾(الأعراف: ١١٢-١١٣)، وفي سورة الشعراء: ﴿يأتوك بكل سحار عليم﴾(الشعراء: ٣٧)؛ فالذين أتوا لتحدي موسى هم أساتذة السحر، الذين غلبوا السحرة الآخرين جميعهم، وهكذا يكون التحدي أن تأتي بالأفضل، ثم تغلبه، هذه واحدة، والثانية: أن الله أنزل التوراة لبيان منهج معين فقط، وشرائع أتى بها موسى إلى قومه، ومن بعد التوراة سينزل الإنجيل لبيان المنهج أيضاً، وليس ليبقى إلى يوم القيامة؛ لأن القرآن سيأتي مهيمنا على هذه الكتب، وسيأتي للبشر جميعهم، وسيأتي ليبقى إلى يوم القيامة، لا يأتي كتاب بعده ينسخ شيئاً منه، ولا يغير حرفا واحدا فيه، وهو للعالمين جميعا، ليس للعرب فقط، ولا لمن عاصر الرسول ﷺ فقط، ولا لأهل المشرق أو المغرب، وإنما لجميع الخلق في جميع الأزمنة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأخيراً، لم يكن على وجه الأرض قوم أكثر فصاحة من العرب ولا أتقن بلاغة منهم، حتى أنهم كانوا يعلقون أجود أشعارهم على الكعبة، التي يعظمها الخلق؛ فأنزل القرآن متحديا أفضل الخلق لسانا وأجودهم منطقا؛ فغلبهم، وسيبقى هذا التحدي قائما إلى يوم القيامة؛ لذلك كان القرآن معجزة ولم تكن التوراة، ولا الإنجيل، ولا الزبور، ولا صحف إبراهيم من المعجزات.

كان الجو جميلا في أواخر شهر نوفمبر بعد مطر استمر أسبوعا، قررنا أن نأكل طعام الغداء في الصحراء المخضرة قبل أن نصل إلى المزرعة، ولاسيما وأننا أحضرنا كل ما نحتاجه. اختار صاحبي تلة صغيرة، أعددنا مجلسنا.

تابعنا حديثنا.

- في القرآن وردت كلمة (آيـة)و (آيـات) لنحاول أن نتفكر في الآيات التي أراد الله أن ينبهنا لها في كتابه.

- نعم، كلام جميل، مرة أخرى، في بعض الأحيان تأتي كلمة آية بمعنى (دلالة) أو (علامة)، وأحيانا بمعنى (معجزة)، وأمر (خارق للعادة)، ويبين الله -عز وجل- أن الذي يعتبر من الآيات هم (المؤمنون)، (قوم يتفكرون)، (المتوسمين)، (قوم يعقلون)، (قوم يذكرون)، (قوم يسمعون)، (قوم يعلمون)، (المنيبون)، (أولو الألباب)، (قوم يتقون)، (أولو النهى)، (قوم يوقنون)؛ لذلك ينبغي على العبد أن يجتهد أن يكون فيمن تنفعهم الآيات التي يذكرها الله -سبحانه وتعالى- وكلمة (آية) و(آيات)، وتصريفاتها وردت أكثر من مئة مرة في كتاب الله -عز وجل- لنحاول أن نتدبر بعض معانيها.

(*) أستاذ في جامعة الكويت



«احفظ الله يحفظك»

إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث

الشيخ: رائد الحزيمي

يروي الإمام مسلم في صحيحه عن النبيﷺ يقول: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»، إذا مات ابن آدم انقطع عمله، وانقطع أمله، ولكن الرحمن الرحيم- جل جلاله- أعطاك من الأعمال ما يستمر أثره يوم القيامة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، الله يقول- عز وجل-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾(يس: ١٢)، إنا نحن نحيي الموتى، يوم القيامة، ونكتب ما قدموا من أعمال، وهذه الأعمال لها آثار، وآثارهم، وكذلك أثر تلك الأعمال لك أجر بها، إن كانت حسنة، فلك حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، وإن كانت سيئة أعاذنا الله منها، فلا تُجزى إلا بمثلها.

وعند مسلم، قالﷺ: «من دعا إلى هدى» يدعو إلى الخير، إلى هدى: نكرة، أيا كانت هذه الدعوة، «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجر من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا»؛ فالذي دعوته إلى الهدى فعمل بما دعوته إليه؛ فلك الأجر مثله، وهو قد دعا غيره؛ فلك الأجر مثل هذا وذاك وهكذا، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها»، وفي حديث آخر، قال- صلوات ربي وسلامه عليه-: «من سن في الإسلام سُنَّة حسنة، فله أجره، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا» أو كما قالﷺ.

الناس قسمان

قسم: ينقطع عمله، سواء كان ذلك العمل سيئا، أم كان حسنا؛ فينقطع.

وقسم آخر: يموت وتبقى حسناته، وتبقى سيئاته، تبقى الحسنات، وتبقى السيئات، ومصيره متوقف على رجحان أي من الكفتين.

وهذا القسم له ثلاثة أصناف: منهم من يموت وتبقى الحسنات والسيئات، ومنهم من يموت وتنقطع سيئاته وتبقى حسناته، ومنهم من يموت وتنقطع حسناته، وتبقى سيئاته.

روى ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ» حسنه الألباني في صحيح ابن ماجه .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من عَلّم علماً، أو أجرى نهراً ، أو حفر بئراً ، أو غرس نخلاً ، أو بنى مسجداً ، أو ورّث مصحفاً ، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته» حسنه الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع برقم: ٣٥٩٦.

علما علمه ونشره، سواء تعلق العلم النافع بالدين أم بالدنيا، يكون له صدقة جارية، وأثره وأجره يستمران حتى بعد مماته، نحن اليوم نعيش في زمن الأجهزة الذكية لنستغلها ولنستفيد منها، ومن هذه البرامج نقل الدروس والمواعظ والمحاضرات، وكل خير يأتينا منها.

التمييز بين الصحيح والسقيم

بعض الناس يقول: قد لا أستطيع أن أميز بين الصحيح والسقيم، وبين الصحيح والضعيف، نقول له: يكفيك في البداية أن ترسل مقاطع للعلماء الكبار الذين اتفقت الأمة عليهم كأمثال الشيخ ابن باز -رحمه الله- أو ابن عثيمين -رحمه الله- أو الشيخ صالح آل فوزان -حفظه الله- وغيرهم من العلماء الأجلاء كالألباني... وغيرهم من العلماء، وبعد أن يستقر معك الأمر اتبع داعية عالما حصيفا ممن اتفقت الأمة عليه من العلماء المعاصرين.

العلماء الأكابر

ومن قال لا أعرف أحدًا نقول له ارجع إلى العلماء الأكابر، والزم طريقهم تسلم، واحذر أن تنشر مقاطع فيها ضلال وزيغ، أو تساعد على نشر الرذيلة، والصور الفاضحة والمقاطع التي لا

لا يستطيع أحد أن ينكر فضل طباعة المصاحف وتوزيعها، إلا أن هذا الفضل يزيد ويعظم في البلاد الفقيرة

خير فيها أو من الشبهات والبدع والزيغ والضلال، والأحاديث الضعيفة، والموضوعة.

كيف تنشر العلم؟

انشر كما يُقال الكتب (البي دي إف)، وعذرا باللغة الأجنبية، هكذا اشتهرت، بالتواصل الاجتماعي فهذا علم يُنتفع به، ليس فقط العلم الذي تكتبه، لكن أي علم يُنتفع به، من مثل خطب الجمع وخطب الحرم.

ولد صالح يدعو له

ثم نبَّه النبيﷺ إلى مجال آخر، وهو: «أو ولد صالح يدعو له»؛ فالولد من كسب الإنسان وهو سببٌ، والإنسان سببٌ في وجود هذا الولد ذكرًا كان أم أنثى؛ فإذا علمه ورباه؛ فإنه يحصل له من الأجر بدعاء هذا الولد حتى ولو بعد موته؛ ولذلك جاء في الحديث الذي رواه الإمام أبو داود بسند جيد أن النبيﷺ قال: «إن العبد يرى من الأعمال يوم القيامة مثل الجبال؛ فيقول: يا رب، من أين هذا؛ فإني لم أعمله؟ فيقال: من دعاء ولدك لك»؛ فأكثر يا عبد الله من الدعاء لوالديك، ولاسيما إن كانا قد رحلا عن هذه الحياة الدنيا؛ فإنهما يريان أثر هذا الدعاء كما في هذا الحديث المتقدم، وكما في هذا الحديث: «أو ولد صالح يدعو له»، وهذا يحمل المؤمن على أن يجتهد في صلاح أولاده؛ فإن صلاحهم خير له؛ فكل عمل صالح يعملونه، وكل دعاء يدعونه، له مثل هذا الأجر؛ لأنه سبب في وجودهم، وسبب في تربيتهم الخيرة: «أو ولد صالح يدعو له».

ويتكامل هذا الفضل بأمر الله -جل وعلا- يوم القيامة فيما دل عليه قول ربنا -سبحانه-: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾(الطور: ٢١)، من فضل الله أنه يجمع الأولاد بآبائهم وأمهاتهم يوم القيامة في المنزلة الأعلى في الجنة، فلو أن أحدًا من الأولاد أو الآباء، كان في منزلة أقل؛ فإن الله -تعالى- يتبع بعضهم بعضًا إلى الدرجة الأعلى، فضلًا منه وإحسانًا!

ومصحفا ورثه

لا يستطيع أحد أن ينكر فضل طباعة المصاحف وتوزيعها، إلا أن هذا الفضل يزيد ويعظم في البلاد الفقيرة التي يمثل اقتناء مصحف فيها تحديا، يواجه الكثير من مسلميها؛ بسبب الفقر، أو عدم وجود جهات تُعنى بطباعة المصاحف وتوزيعها، وقد عايشنا ورأينا الفرحة الغامرة التي يعبر عنها المسلمون في تلك البلدان حال تسلمهم نسخا جديدة من المصاحف، ولاسيما من الذين يحفظون القرآن الكريم في مراكز التحفيظ، أو في المساجد، والمدارس التي تضم نسبة كبيرة من الطلبة المسلمين.

كذلك يعانيها العديد من أبناء الجاليات المسلمة حول العالم من عدم قدرتهم في الحصول على نسخة من القرآن الكريم، بل إن كثيرا من المجتمعات تعاني ندرة المصاحف، حتى أن بعض القرى الإفريقية التي يبلغ تعداد سكانها حوالي ألف نسمة، ربما لا تجد فيها سوى نسخة واحدة من القرآن الكريم.

لذلك يا أخوة من أراد أن يطبع مصحفا عليكم بالبلاد الفقيرة، إما كانت في شرق آسيا، أو أفريقيا وحتى أوروبا اطبع لهم، كن مجتهدا في نشر كتاب الله -تعالى-.

أو مسجدًا بناه

فقد وردت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، تبين فضل المساجد، وفضل بنائها، ورعايتها، قال -تعالى-: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾(التوبة: ١٨)، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عثمان ابن عفانؓ: أن النبيﷺ قال: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ».

وروى البزار في مسنده من حديث أنس: أن النبيﷺ قال: «سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ أَجْرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ»، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِﷺ بِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُنَظَّفَ وَتُطَيَّبَ».

عمارة المساجد

وعمارة المساجد ليست مقتصرة على بنائها فقط، بل تكون بالصلاة والذكر، والدعاء، والاستغفار، وحلق العلم، قال -تعالى-: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾(النور: ٣٦-٣٧).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ؛ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ، فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ -عز وجل- خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ».

ومكانة المسجد في الإسلام عظيمة؛ ولذلك النبيﷺ لما وصل إلى المدينة كان أول عمل عمله بناء المسجد، وهو ساحة العبادة، ومدرسة العلم، ومنطلق الجيوش لمقارعة الأعداء، ويجتمع الناس في المساجد كل يوم خمس مرات، الغني والفقير، والأمير والمأمور، والصغير والكبير، جنبًا إلى جنب؛ فيشعرون بالمواساة والمحبة والمودة، ويتفقد بعضهم بعضًا، وفي نهاية الأسبوع يكون لخطبة الجمعة الأثر البالغ في نفوسهم.

العمل الإسلامي أهدافه ومقتضياته

كتب د. محمد أحمد لوح

المراد بالعمل الإسلامي هو كل جهد يبذله الداعية أو المعلم في سبيل التبشير بالإسلام وتبليغ رسالته، ومن أهدافه: تحقيق العبودية لله -تعالى- في الأرض، وبيان الحد الفاصل بين الحق والباطل في قضايا الاعتقاد والعبادة والسلوك، ورفع راية الإسلام وترسيخ دعائم شريعته على كل أرض تفضل الله -تعالى- على أهلها بقبول هذا الدين، وتصفية التراث الإسلامي المكتوب مما علق به من الفكر الدخيل، وتربية جيل واع وإرشاده إلى أحسن السبل وأقوم المناهج -منهج القرآن والسنة بفهم سلف الأمة-، وجمع كلمة المسلمين على كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- على فهم السلف الصالح.

تحقيق العبودية لله -تعالى

من مقتضيات تحقيق هذا الهدف ما يلي:

١- تعليم الناس حقوق الله -تعالى- على عباده وتربيتهم على محبته وطاعته.

٢- تعليمهم حقوق المصطفى -ﷺ- وتربيتهم على محبته المحبة الصحيحة واتخاذه القدوة في كل صغيرة وكبيرة من شؤون الدين.

٣- بيان ما يضاد ذلك من الشرك وذرائعه والبدعة ووسائلها، والتحذير منه.

الحد الفاصل بين الحق والباطل

من مقتضيات تحقيق هذا الهدف ما يلي:

١- تعليم النشء وتربيته تربية إسلامية تناسب سنه.

٢- تفقيه الشباب بدينهم وتعريفهم بقضايا أمتهم.

٣- توعية الناس توعية عامة بما هو ضروري من أمور الدين.

رفع راية الإسلام

من مقتضيات تحقيق هذا الهدف ما يلي:

١- ترسيخ محاسن الإسلام في نفوس أفراد الأمة.

٢- تنبيه الناس إلى عدالة الإسلام في أحكامه ومراعاته لمصالح الخلق دون تمييز.

تصفية التراث الإسلامي

من مقتضيات تحقيق هذا الهدف ما يلي:

١- تكوين جيل من طلاب العلم القادرين على التخصص في العلوم الشرعية الدقيقة.

٢- تفريغ عدد من الباحثين المحترفين للقيام بتحقيق التراث وغربلته وتصفيته.

٣- قيام مؤسسات علمية تعنى بالعقيدة الإسلامية والفقه والحديث وأصولهما والبحوث التاريخية ونحوها، بقصد التأصيل والتوضيح والبيان، وإبعاد كل دخيل مناف أفرزته تراث الأمم المخالف لمبادئ الإسلام، وفي مجال التصفية الفكرية ينبغي أن نعلم أن التصور الإسلامي لن يخلص من التشويه والانحراف والمسخ إلا حين ننفي عنه جملة كل ما أطلق عليه اسم الفلسفة الإسلامية، وكل مباحث علم الكلام، وكل ما ثار من الجدل بين الفرق الإسلامية المختلفة في شتى العصور، ثم نعود إلى القرآن الكريم، والسنة الصحيحة على فهم السلف الصالح.

والمراد: إبعاد الباطل وإبقاء الحق من مقالات الفرق، ثم نعود إلى ما ثبت في الكتاب والسنة الصحيحة.

تربية جيل واع

من مقتضيات تحقيق هذا الهدف ما يلي:





إن تغيير أوضاع الأمة في مفاهيم كثير من الشباب يفتقر إلى تأصيل شرعي تتوازن فيه المصالح والمفاسد ساعة الإقدام أو الإحجام

١- تكوين جيل من الشباب المثقفين الواعين لقضاياهم ومتطلبات الدين والحياة.

إن تغيير أوضاع الأمة في مفاهيم كثير من الشباب -بل ومن الدعاة أيضا- يفتقر إلى تأصيل شرعي تتوازن فيه المصالح والمفاسد ساعة الإقدام أو الإحجام، وهذا الافتخار عائد إلى قصور في فهم الواقع المعاش، وخلل في فهم مقاصد الإسلام من عملية التغيير ذاتها، وأحسب أن قصة عبد الله بن حذافة -رضي الله عنه- أفضل ما يمكن إيراده عند مناقشة هذه الظاهرة لدى هؤلاء الشباب؛ فإنه -رضي الله عنه- بكى من غير جزع حين قرر الملك الروماني إلقاءه في قدر يغلي بزيت متمنيا أن لو كانت له أكثر من نفس تعذب في سبيل الله، ولكنه في الوقت ذاته رضي بتقبيل رأس الملك بعد أن اشترط عليه إطلاق أسرى المسلمين، ولقد مدح عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- صنيعه هذا، وكافأه بتقبيل رأسه؛ حيث قال: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ، فقام فقبل رأسه. (انظر تفسير ابن كثير).

هذا الموقف من عبد الله بن حذافة -رضي الله عنه- بكل ما فيه من إخلاص، وصدق وتضحية يبرز لنا من جانب آخر قدراً عاليا من فقهه في حمل الرسالة الإسلامية؛ فلم تكن الدعوة في ذهنه تعني فقط إجادة الموت في سبيل الله، ولكن أيضا تعني إجادة الحياة في سبيل الله، وغياب هذا النوع من الفقه يعني خللا في العمل الإسلامي.

٢- الاقتراب من جيل الشباب وفهم مشكلاتهم ومن ثم رسم العلاج المناسب لها.

٣- إيجاد برامج عملية فعالة لاستيعاب طاقاتهم وصرفها فيما يعود عليهم بالنفع.

٤- تعليم الشباب سبل هندسة الوقت وكيفية الاستفادة منه دون كلل أو ملل.

٥- تعليمهم طريقة التفكير المتقن وطريقة ضبط الجهود والحركات بضوابط الشرع؛ لأن فقدان الضوابط الشرعية في الفهم، والتلقي، والعمل، يؤدي جزما إلى القصور والخلل.

والنهوض لن يكون إلا وفق الأسس والقواعد الشرعية، المبنية على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، والحاملون للإسلام لا ينقصهم -في الغالب- الصدق والإخلاص، وإنما يحتاجون إلى العلم الدقيق بمحكمات الشرع وأصوله، ليتسنى لهم تنزيلها على مقتضيات العصر-؛ ولذا كان التحدي الكبير الذي تواجهه الصحوة الإسلامية هو بناء الإنسان المفكر.

إننا نعاني أدواء عديدة نتيجة تأثرنا بالبيئة التي نعيش فيها وآثارها التي تتحكم غالبا في اهتمامات الإنسان وتقولب أطروحاته، ومن ملامح تلك الآثار على سبيل المثال:

- قصور بيّن في طريقة التفكير.
- قصور في نوعية المسائل التي يفكر فيها الإنسان، ويشغل نفسه بها.
- قصور في طريقة بحث الأفكار ومناقشتها مع الآخرين.
- قصور في توظيف الأفكار في ميادين العمل والبناء.

جمع كلمة المسلمين

من مقتضيات تحقيق هذا الهدف ما يلي:

إن الفرد المنعزل لا يستطيع أن يرسل الخير إلى غيره، بل لابد أن يكون عمله في صورة فريق عمل منسجم يؤدي نشاطا مشتركا ويتحرك بتوازن دقيق بين الروح الفردية والروح الجماعية؛ فيكون عمله في إطار من «الفرد للمجموع والمجموع للفرد» وتقوم اسراتيجيته على أساس من «روح الفريق والمبادرات الذاتية».

وحتى يتحقق ذلك لا بد من:

١- دعوة المسلمين جميعهم إلى العودة إلى الكتاب والسنة باعتبارهما رمز وحدة الأمة.

٢- تشجيع البحوث الهادفة إلى بيان أسباب الخلاف وأسس الوحدة الإسلامية.

٣- بناء العمل الإسلامي على أساس من الإنصاف ونبذ الخلافات الشخصية.

٤- تربية الشباب على الولاء للحق من أي مصدر أتى، وعدم بناء الولاء والبراء على الأشخاص والمجموعات.

مكافحة الجوع في الإسلام

بواعثُ إيمانيَّةٌ وأخلاقيَّةٌ وواجباتٌ شرعيَّةٌ

كتب الشيخ: عبد الحق التركماني

تعدُّ مشكلة (الجوع) من أخطر المشكلات التي تواجه البشرية، وتسبِّب هلاكَ أعداد كبيرة منها كلَّ عام؛ لهذا فإن التركيز على مشكلة (الجوع) من الواجبات التي لها الأولوية، ومكافحتُه من حقوق الإنسانِ الضرورية، فلا غروَ أن يكون إطعام الجائعين من الأعمال الفاضلة التي حثَّ عليها الأنبياء والمرسلون -عليهم الصلاة والسلام-، وتتابعت شرائعهم بالأمر بها، وبيان فضائلها، وتضمَّنت الشريعةُ الإسلامية من الأحكام والآداب التفصيلية في مكافحة الجوع والتخفيف عمَّن يعانون وطأته ما لا مثيل له في أيِّ شريعة سابقة، ولا قوانينَ حادثة؛ فقد جعلها الإسلام عملًا صالحًا من صُلْب الإيمان، ووضع الأحكام التي تشجِّع عليها، وأوردتْ من صنوف الوصايا والمواعظ والترغيب والترهيب ما يضمن استمراريتها في ضمير أتباعه وتصرفاتهم.

وقد ذكرنا فيما سبق أن الشريعة الإسلامية خصت الصدقات المفروضة بالمسلمين أنفسهم؛ وذلك لأنها أحكام تعبدية لأهل الديانة كالزكاة وصدقة الفطر والكفارات ونحوها، أما الصدقات والهبات التطوعية فهي جائزة على غير المسلمين أيضًا، وقد تكون واجبةً في حالات الضرورة أو الحاجة الملحَّة، كما هو الحال في إغاثة المصابين بالمجاعة أو الكوارث العامة.

لا تمييز على أساس الدِّين أو العرق

لقد بيَّن الله -تعالى- أن الإحسان بالنفقة لا يشترط فيه الموافقة في الدِّين، ولا يمكن أن يستخدم ذريعةً للإكراه على الدخول في دين الإسلام، فقال -عزَّوجلَّ-: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٢). قال الفخر الرازي (ت: ٦٠٦): «والمعنى على الروايات جميعها: ليس عليك هدى مَن خالفك حتى تمنعهم الصدقةَ لأجل أن يدخلوا في الإسلام؛ فتصدَّقْ عليهم لوجه الله -تعالى-، ولا توقف ذلك على إسلامهم، ونظيره قوله -تعالى-: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨)؛ فرخَّص في صلة هذا الضرب من المشركين. وذلك أنه -ﷺ- كان شديد الحرص على إيمانهم كما قال -تعالى-: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٣)، وقال: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩)؛ فأعلمه الله -تعالى- أنه بعثه بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه، وسراجًا منيرًا، ومبينًا للدلائل، فأما كونهم مهتدين فليس ذلك منك ولا بك؛ فالهدى هاهنا بمعنى الاهتداء؛ فسواء اهتدوا أو لم يهتدوا فلا تقطَعْ معونتَك

جاءت الأحاديث بالأمر بإطعام الطعام دون قيد الإسلام، فمن ذلك قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «أطعموا الجائعَ، وعودوا المريضَ، وفكّوا العانيَ»

وبرِّك وصدَقَتك عنهم، وفيه وجه آخر: ليس عليك أن تلجئهم إلى الاهتداء بواسطة أن توقف صدقتك عنهم على إيمانهم، فإن مثل هذا الإيمان لا ينتفعون به، بل الإيمانُ المطلوب منهم الإيمان على سبيل التطوع والاختيار».

وصف عباد الله المؤمنين

وقال -تعالى- في وصف عباده المؤمنين: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا × إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان: ٨ - ٩)، فأطلق إطعامهم للمسكين واليتيم، ولم يقيده بكونهم مسلمين أو غير مسلمين، أما (الأسير) فهو غير مسلم، ومحارب أيضًا؛ فقد جاء حاملًا سلاحه لقتل المسلمين والاعتداء عليهم، لكنه خُذل فوقع في الأسر؛ فلم يمنع ذلك هؤلاء المسلمين أن يطعموه لوجه الله -سبحانه-، من غير منٍّ ولا أذًى، ولا طلبٍ لمقابل، ولا إكراه على الدين، فرضي الله -تعالى- عن فعلهم هذا، وجعله من صفاتهم المحمودة، يُقرأ في كتابه العزيز إلى آخر الزمان. ولا شكَّ أن الإحسان إلى العدوِّ المحارب من أرقَى صور الإحسان، وقد سُئل الإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩) -رحمه الله- عن الأسير في هذه الآية: هل هو مسلم أو مشرك؟ قال: بل مشرك.

إطعام الطعام دون قيد

وهكذا جاءت الأحاديث بالأمر بإطعام الطعام دون قيد الإسلام، فمن ذلك قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «أطعموا الجائعَ، وعودوا المريضَ، وفكّوا العانيَ»، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «ما من مسلم يغرسُ غرسًا إلَّا كان ما أُكِل منه له صدقةً، وما سُرِقَ منه له صدقةً، وما أكل السبعُ منه فهو له صدقةٌ، وما أكلت الطيرُ فهو له صدقةٌ، ولا يَرْزَؤُه أحدٌ إلَّا كان له صدقةٌ».

التنبيه على الضروريّ

وجاءت السنة أيضًا بالتنبيه على الضروريّ الذي به قوام حياة بني آدم، ورأس ذلك: الماءُ، وقد ذكر النبيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «ثلاثة لا يكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم»، فكان أحدهم: «رجلٌ على فضل ماء بفلاة يمنعه ابنَ السَّبيل، يقول الله له: اليومَ أَمنعُك فَضْلي كما منعتَ فضلَ ما لم تعمل يداك»، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في حديث آخرَ: «لا تمنعوا فضْلَ الماء لتمنعوا به فضلَ الكَلَأ»، وهذا كله يؤكد العموم الوارد في حديث ثالث، وهو قوله -صلى الله عليه وسلم-: «الناسُ شركاء في ثلاثٍ في الماء، والكَلَأ، والنَّار».

المساهمة بالقدر المستطاع

إن الرغبة في المشاركة في الخير، ومدِّ يَد العون للمحتاجين، يجب ألَّا يحجزها قلَّةَ ذات اليد، ولا ضعف الإمكانيات، فيبادرُ كلُّ إنسان إلى المساعدة والإغاثة بما يتيسر له، غير خجِلٍ ولا متردِّد، ولا يلتفت إلى أصحاب النفوس المريضة الذين يتقَّصون من عمله، ويتخذون إمكانياته المتواضعة مادةً للسخرية والاستهزاء؛ فذلك من صفات المنافقين الذين قال الله -تعالى- فيهم: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: ٧٩).

وقد وردت الأحاديثُ في الحثِّ على الصدقة ولو بالشيء القليل: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «اتَّقوا النَّارَ ولو بشِقِّ تمرة»، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «من تصدَّق بعَدْل تمرة من كسب طيِّب، ولا يقبل الله إلا الطيبَ، فإنَّ الله يتقبَّلها بيمينه، ثم يُربِّيها لصاحبه، كما يُربِّي أحدُكم فَلُوَّه، حتى تكون مثل الجبل».

وعن يزيد بن أبي حبيب، يُحدِّثُ أنَّ أبا الخير حدَّثه: أنه سمع عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «كل امرئٍ في ظلِّ صدقته حتى يفصل بين الناس»، أو قال: «حتى يحكم بين الناس»؛ فكان أبو الخير لا يأتي عليه يومٌ إلَّا يتصدق فيه بشيءٍ، ولو كعكةً، ولو بَصَلةً.

لقد أثمر هذا الحديث في راويه أبي الخير وهو الفقيه مرثد بن عبد الله اليَزَنيُّ المصريُّ هذا السلوك النبيل؛ فكان يحرص على الصدقة بما يتيسر له، ولو كان ضئيلًا.

وهذه الطريقة قد أثبتت نجاحها وتأثيرها في عصرنا الحاضر، ولاسيما مع وجود وسائل التقنيَّة والتواصل الحديثة؛ فعمدت المؤسسات الخيرية إلى حثِّ الناس على التبرع بمبلغ قليل جدًّا، فيبادر كثير من الناس إلى المساهمة، ولا يجدون في ذلك حرجًا ولا ثقلًا، ويكون مجموع التبرعات مبلغًا كبيرًا، يصلح لإنجاز المشاريع الإغاثية المنشودة.

ضمان جودة الطعام وصلاحيته

من خلال البحث في (الانترنت) نحصل على عشرات النتائج لأخبار وتقارير رسمية وإعلامية عن الأطعمة الفاسدة، أو منتهية الصلاحية، التي يتم توزيعها في مناطق الصراع والكوارث، كما حصل في سوريا والعراق واليمن وغيرها، ونتج عن ذلك حالاتُ

الإسلام جمع لتحقيق التكافل الاجتماعي والقيام بحقِّ الفقراء والمساكين بين طريقتي التطوع الاختياري، والتشريع الإلزامي

يجب عدم إغفال الجانب الديني في حثِّ الناس على مكافحة الجوع؛ فإن الشريعة الإسلامية تزخر بنصوص كثيرة وأحكام رائعة في هذا المجال

تسمُّم ووَفَيات. وليس الغرض هنا ذكر تلك الوقائع بالأسماء والأماكن والتواريخ، فهذا خارج عن موضوع بحثنا.

استشعار المسؤولية

إن تلك الوقائع تدل على أن بعض القائمين على الأعمال الإغاثية، أو التجَّار المنفِّذين لها لا يستشعرون المسؤولية في هذه الأعمال النبيلة، وتغلبهم أنانيَّتهم، فيعمدون إلى أرخص الأطعمة، وأسوأ أنواعها، ليطعموها الجائعين، هذا الفعل الدنيء قد جاء الإسلام بالنهي عنه، بل جاء بالحث على تحرِّي الطيب والجيد من الطعام، تقربًا إلى الله -تعالى-، وتزكية للنفس من الشح والبخل، ومراعاة لمشاعر المحتاجين، وقيامًا بحقِّهم، كما قال الله -عزَّ وجلّ-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (البقرة: ٢٦٧)، ففي هذه الآية يأمر -تعالى- عباده المؤمنين بالنفقة من طيبات ما يسَّر لهم من المكاسب، ومما أخرج لهم من الأرض، فكما منَّ عليهم بتسهيل تحصيله؛ فعليهم أن ينفقوا منه، شكرًا لله، وأداء لبعض حقوق إخوانهم عليهم، وتطهيرًا لأموالهم، وعليهم أن يقصدوا في تلك النفقة الطيِّبَ الذي يحبونه لأنفسهم، ولا يتيمَّموا الرديء الذي لا يرغبونه، ولا يأخذونه إلا على وجه الإغماض والمسامحة؛ لهذا امتدح الله -تعالى- عباده المؤمنين بأنهم: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ (الإنسان: ٨)، أي يطعمون الطعام رغم حبِّهم له، وقلَّته، وشهوتهم له، وحاجتهم إليه، وفعلهم هذا امتثال منهم لقول الله -تعالى-: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٩٢).

وقال الله -تعالى-: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ (المائدة: ٨٩)، فأمر الله -تعالى- في كفارة اليمين أن يكون الإطعام من «أوسط» طعامه المعتاد، أي: أعدله وجيِّده. قال ابن عباس، وسعيد بن جُبير، وعكرمةُ: أيْ من أعدل ما تطعمون أهليكم. وقال عطاء الخراساني: من أمثَل ما تطعمون أهليكم، وقال ابنُ زيد: هو الوسط مما يقوت به أهله، ليس بأدناه ولا بأرفعه، ولاحظ ابن جرير الطبري تفاوت أحوال الناس في هذا الباب، واختلاف طبقاتهم، فقال: «وأولى الأقوال عندنا قول من قال: من أوسط ما تطعمون أهليكم في القلة والكثرة».

خلاصة ونتائج وتوصيات

بعد هذه النظرة العاجلة في جملة من نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وأحكام الشريعة الغرَّاء نخلص إلى أنَّ الدين الإسلامي قد تضمن من الأحكام والتوجيهات والآداب الكفيلة بالقيام بهذا العمل الإنسانيِّ النَّبيل على أتمِّ وجه وأحسنه:

فالمسلم يبادر إلى إطعام الجائع بنية التعبد لله -تعالى-، لا يبتغي بذلك جزاءً ولا شكورًا من أحد، ولا يستغلُّه للدعاية والترويج لنفسه، فضلا عن أن يجعله وسيلة للتهرب من الضرائب، أو كسب منافع سياسية واجتماعية.

إن الإسلام قد جمع لتحقيق التكافل الاجتماعي والقيام بحقِّ الفقراء والمساكين بين طريقتين، تكمِّل إحداهما الأخرى، الأولى: التطوع الاختياري، والثانية: التشريع الإلزامي.

حرَّم الإسلام استغلال (إطعام الفقراء) للترفع والاستعلاء عليهم، أو تجريح مشاعرهم بالمنِّ والأذى، ورغَّب في صدقة السرِّ.

ينبغي ألَّا يكون الاختلاف في الدِّين أو العرق أو اللون أو الموطن سببًا للتمييز في إغاثة الملهوفين، وإعانة المحتاجين؛ فالناس كلهم شركاء في القدر الضروري من المطعم والمشرب والدواء والمسكن الذي به قوام حياتهم، كما لا يجوز اشتراط الدخول في دين الإسلام لمنح المعونات الخيرية، والأسوأ من ذلك الإكراه في الدِّين.

تقدير كلِّ مساهمة في الخير، مهما كانت يسيرة ومتواضعة، والتشجيع على ذلك منهج إسلاميٌّ أصيل، حثَّت عليه نصوص القرآن والسنة.

جاءت الشريعة الإسلامية بالأحكام التي تضمن جودة الطعام المقدَّم إلى الفقراء، وصلاحيته للأكل، وأن يكون بالمستوى اللائق لبني آدم.

توصيات مهمة

عدم إغفال الجانب الديني في حثِّ الناس على مكافحة الجوع؛ فإن الشريعة الإسلامية تزخر بنصوص كثيرة وأحكام رائعة في هذا المجال، لا شكَّ أن بثَّها في المسلمين، وتذكيرهم بها، سيشجعهم على المساهمة الفعالة في هذا المشروع.

الشراكة مع الجهات العلمية والدعوية، مثل وزارات الشؤون الإسلامية، للاستفادة من إمكانياتها ومنافذها الدعوية والإعلامية، وخبراتها في توجيه الجماهير، بما يخدم جهود مكافحة الفقر.

غرس هذه المعاني الإسلامية النبيلة في نفوس الناشئة من خلال التركيز عليها في مواد التربية الإسلامية في المدارس العامة، وإعداد برامج ونشاطات تساهم في جلب الاهتمام بمشكلة الجوع، والشعور بأهمية المشاركة في مكافحتها.

نفسك هي العدو الأخطر

كتب: د. محمد ضاوي العصيمي

لا يخفى على أحد ما للمواعظ من تأثير في قلوب المؤمنين فهي توطن النفس على سلوك طريق الاستقامة وفيها إنذار وتنبيه، وإبلاغ وتخويف، وبها يتحصّل المرء على الأنس بالله والرغبة في ثوابه والخوف من عقابه ولهذا كان السلف يسمونها (سياط القلوب)، والاهتمام بها مما يعين على إصلاح المرء لنفسه ومجاهدتها، ومما ينبه عليه كذلك أن جهاد النفس مما يتعين على الإنسان فهو فرض عين ليس له فيه خيار، وليعلم أيضاً أن مجاهدة النفس يترتب عليها مشقه بالغه تحتاج منا إلى صبر ومصابرة وجد واجتهاد.

ما النفس؟

أما النفس فقيل هي الروح، وقيل البدن، وقيل الدم، وقيل العين، وأياً كان المقصود بها فهذه الأنواع الأربعة ليست من التضاد بل هي متقاربة.

منزلة جهاد النفس

لماذا كان جهاد النفس أحد مراتب الجهاد الأربعة التي ذكرها أهل العلم، والكلام حولها والتنبيه عليها مما يتأكد أشد التأكيد؟

١- لأن جهادها ألزم من جهاد الأعداء قال ابن القيم: لما كان جهاد الأعداء في الخارج فرعا عن جهاد العبد لنفسه في ذات الله، كان جهاد النفس مقدما على جهاد العدو في الخارج وأصلاً له؛ فإنه ما لم يجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أمر به، وتترك ما نهيت عنه، ويحاربها في الله لم يمكنه من جهاد عدوه في الخارج؛ ولهذا قيل: كلما كان العدو أقرب كان جهاده أوجب.

٢- جهاد النفس من أعظم الجهاد؛ فقد جاء في الأثر: «أفضل الجهاد أن يجاهد العبد نفسه وهواه في ذات الله».

٣- أنه أول ما يجب البداءة به؛ ولهذا جاء في وصية الصديق لعمر -رضي الله عنهما-: «أول ما أحذرك به نفسك التي بين جنبيك».

٤-أن جهاد النفس هو المقصود من خلق الخلق؛ فالمرء في هذه الدنيا دائر بين الرغب والرهب، والإنذار والتخويف.

٥-النتيجة للجهاد إما نصر وإما هزيمة؛ فمن قويت همته، وعلت درجته، وآثر الباقية على الفانية تحقق له النصر والتمكين على هذه النفس، قال -تعالى- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فإن الجنة هي المأوى﴾ (النزاعات:٤٠-٤١) فهذا أحد أنواع النصر التي تحققت بعد مجاهدة النفس هي حسن المنزل وهي الجنة، ومن النصر ما جاء في قوله -تعالى- ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت:٦٩)، وهذا نصر آخر وهو تحقق الهداية، فاجتمع للمجاهد لنفسه بمجموع الآيتين نصران، في الدنيا بتحقق الهداية، وفي الآخرة بالجنة.

أما الثاني وهو المهزوم الذي لم يصبر على مجاهدة نفسه ماذا كانت نتيجته؟

قال -تعالى- ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾ (الشمس:٧-١٠). وصنف آخر من المهزومين ممن ذكرهم الله بقوله ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ (الزمر:٥٦).

فإذا علمنا ذلك يجب أن نعلم ما جهاد النفس حتى تكون عدة المسلم حاضرة؟

قال المناوي في تعريف جهاد النفس: حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى، نسأل الله أن يعيننا على توطينها على طاعة ربها ومخالفة عدوها.

جهاد النفس من أعظم الجهاد؛ فقد جاء في الأثر: «أفضل الجهاد أن يجاهد العبد نفسه وهواه في ذات الله



وقفات مع الوقت

الشيخ: ناظم سلطان المسباح

الوقت له أهمية عظيمة في حياة الأفراد والجماعات؛ فالأمة التي تعتني بوقتها تسمو وتتقدم وتتمكن، والأمة التي لا تقدر الوقت، تضعف وتهون. الوقت له خصائص؛ فمن هذه الخصائص: سرعة انقضائه.

والوقت أنفس ما عُنيتَ بحفظه ... وأراه أسهلَ ما عليك يضيع

ما مضى منه لا يعود ولا يعوض - أغلى ما يملك الإنسان

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثواني

أهمية الوقت في القرآن

أقسم الله بكل أجزاء الوقت، وهذا فيه بيان أهميته؛ لأن الله إذا أقسم بشيء دل على أهميته.

قال -سبحانه-: ﴿والليل إذا يغشى(١) والنهار إذا تجلى(٢)﴾(الليل)، وقال -تعالى-: ﴿والفجر(١) وليال عشر(٢)﴾(الفجر)، وقال -سبحانه-: ﴿والضحى(١) والليل إذا سجى(٢)﴾(الضحى)، وقال -تعالى-: ﴿والعصر(١) إن الإنسان لفي خسر(٢)﴾(العصر)، وقال -عز وجل-: ﴿فإذا فرغت فانصب(٧)﴾(الشرح)، أي: إذا فرغت من تبليغ رسالتك والغزو؛ فاجتهد في الدعاء، واطلب من الله حاجتك.

اعتناء السنة النبوية بالوقت

١ - روى ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة، والفراغ»(رواه البخاري).

٢ - وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه»(حديث صحيح. رواه الطبراني).

٣ - وقال ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»(رواه الحاكم).

السنة العملية

السنة العملية حافلة بالحرص على الوقت.

- استغفاره ﷺ مئة مرة في مجلس واحد، دال على حرصه واستغلاله لوقته ﷺ.

- تعليمه ﷺ لابن عباس وهو على حماره في الحديث المشهور: «يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك..» فيه دليل وشاهد على حرصه على الوقت.

- إلقاؤه خطبة في المقبرة أثناء حفر قبر أحد أصحابه وإعداده، كذلك فيه شاهد على أهمية الوقت.

أهمية الوقت عند السلف

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إني لأمقت الرجل أن أراه فارغا ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة، وقال الحسن البصري: يا ابن آدم إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضك».

وقال عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله-: إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي.

وقال حكيم: من أمضى يوما من عمره في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أصله، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه؛ فقد عق يومه وظلم نفسه.

أسباب تعين على حفظ الوقت

١ - الخوف من الله وخشيته ومراقبته.

٢- صحبة الصالحين ذوي العقول السليمة، والمعرفة بقيمة الوقت.

أقسم الله بكل أجزاء الوقت، وهذا فيه بيان أهميته؛ لأن الله إذا أقسم بشيء دل على أهميته



من أمضى يوما من عمره في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه؛ فقد عق يومه وظلم نفسه

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

٣ – تذكر الموت.

٤ – قراءة سيرة العلماء الأفذاذ من هذه الأمة.

٥– الحذر من التسويف، والمبادرة بإنجاز الأعمال.

قال ﷺ: «بادروا بالأعمال سبعا، هل تنتظرون إلا فقرا منسيا، أو غنى مطغيا، أو مرضا مفسدا، أو هرما مفنِّدا، أو موتا مجهزا؟!».

٦ – الدعاء.

٧ – تنويع ما يستغل به الوقت.

٨ – تنظيم الوقت.

٩– مخالفة الهوى.

استغلال أوقات الفراغ

بماذا نستغل أوقات الفراغ؟

نستغلها بأمور صالحة منها:

١ – حفظ كتاب الله –تعالى.

٢ – قراءة الكتب المفيدة.

٣ – ذكر الله –تعالى.

٤ – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥ – أداء النوافل.

٦– حضور دروس العلم.

٧– الذهاب إلى بيت الله الحرام للحج، والعمرة، والصلاة فيه والطواف والاعتكاف.

٨– سماع الأشرطة النافعة.

٩– زيارة الأقارب والأرحام.

١٠– زيارة المقبرة.

١١– مساعدة الآخرين.

١٢– ممارسة بعض الأنشطة الرياضية.

١٣– ممارسة الفتيات للخياطة.

١٤– ممارسة الفتيات للحياكة.

١٥– فنون الطهي.

١٦– التدريب على تربية الأولاد والبنات.

سيتمنى المفرطون يوم القيامة وقتا كي يعملوا فيه خيرا. ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ (فاطر)، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ (المؤمنون).

ضعف احترام الوقت

كتب: د. عبدالرحمن بن سعيد الحازمي

إن ضعف احترام الوقت سلبية ملحوظة في بعض المجتمعات الإسلامية، وفي أكثر المستويات، والسمة الغالبة هي ضعف الانضباط بالمواعيد، وإن حدث شيء من الضبط للمواعيد عَدّ الناس هذا أمراً غريباً، وكان موضع تعجب! وقد يُنسب عند التأكيد على ضبط المواعيد أن يكون هذا الموعد مثل مواعيد الإنجليز أو ما شابه ذلك، ونسوا أن دينهم وشريعتهم تؤكد على ذلك أشد التأكيد!

وإذا أراد أي إنسان تنظيم وقته في شؤون حياته كافة فإنه يصطدم بالواقع الاجتماعي؛ فيصبح غريبا في المجتمع، وقد يُنسب إليه نقد لاذع بأنه إنسان متأخر ولا يساير التحضر، وكأني به يغرد في سرب، والآخرون يغردون في سرب آخر.

وقد تجد كثيراً من الناس يردد أنه ليس لديه وقت؛ فالمشاغل كثيرة ومتعددة؛ فهذا كلامٌ غالبا فيه مبالغة! والملاحظ أن كثيراً من الأوقات تذهب هدراً، المهم نحتاج إلى شيء من التنظيم والترتيب لأعمالنا وأوقاتنا مع شيء من الجدية وحسن الضبط، وسترى أن الوقت كاف.

وقد قال يحيى بن هبيرة الوزير:

والوقتُ أنْفَسُ ما عُنيتَ بحفظه
وأراهُ أسهلَ ما عليكَ يضيعُ

إن كثيراً من السلف الصالح ليس لديهم الوسائل والإمكانات التي توافرت في عصرنا، ومع هذا تجدهم برعوا وأنتجوا وتفوقوا على غيرهم، بل إن بعض السلف من توفي وعمره لم يناهز الخامسة والأربعين، وتجده قدم إنتاجاً علمياً فريداً نتفيئ ظلاله الوارفة حتى يومنا هذا.

إن أعظم أسلوب لترتيب الأوقات في حياة المسلم هو الاستفادة من أوقات الصلوات الخمس، قال –تعالى–: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾(النساء: ١٠٣)، وجعلها محور تنظيم كل شؤونه: أعماله العامة والخاصة، اجتماعاته، مأكله، نومه، يقظته؛ فمن استطاع أن ينام مبكراً، ويستيقظ مع صلاة الفجر فقد أعطى جسمه راحة كافية، ثم قام بأداء أعماله بعد صلاة الفجر مباشرة؛ فهناك وقت طويل حتى دخول صلاة الظهر يصل إلى ست، أو سبع ساعات تقريباً؛ فالجسم والعقل في هذه المدة قد بلغ مداه من النشاط؛ فأي عمل مهما بلغ يتم إنجازه بعون الله.

إن البكور أفضل وقت، ولكن –مع الأسف– المجتمعات المسلمة غير حريصة عليه؛ ففي الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلًا تَاجِرًا وَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُه.

مستشار شيخ الأزهر للفرقان:

اتهام العمل الخيري بالإرهاب ظلمٌ بيِّن قام على شبه واهية وادعاءات باطلة

حوار: وائل رمضان

بالرغم من أنها الزيارة الأولى له لجمعية إحياء التراث، إلا أن د. حامد أبو طالب مستشار شيخ الأزهر، والأمين العام المساعد للشؤون المالية والإدارية للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، لم يستطع إخفاء انبهاره وإعجابه بجهود الجمعية في العمل الخيري والدعوي، ووصف تلك الجهود بالعالمية، كذلك وصف الكويت بأنها بلد العطاء، بعد أن رأى هذا الاهتمام الكبير بالعمل الخيري، والحرص على مد يد العون للمنكوبين والمحتاجين في العالم أجمع، وعلى هامش زيارته للجمعية كان لـ(الفرقان) هذا الحوار معه.

■ بداية ما انطباعك عن الكويت وأهلها والمؤسسات التي زرتها، ولا سيما جمعية إحياء التراث؟

● هذه الزيارة شرحت صدري كثيرًا؛ لما شاهدته من نشاط على مستوى عالمي في هذه الجمعية المباركة، وتبين لي من خلال هذه الزيارة أن جمعية إحياء التراث تنفق أموالًا طائلةً في فعل الخير على مستوى العالم بأكمله، بشفافية ومصداقية؛ ولذلك وأنا في نشوة الفرحة بهذه الجمعية، أشد على أيدي القائمين عليها بالاستمرار في هذه الجهود، ومحاولة نشرها، سواء في الدول الإسلامية، أم غير الإسلامية؛ لأن هذا هو الذي يُظهر الإسلام، وسماحة الإسلام، وحب الإسلام للبشرية جمعاء، بدلًا من أن تنتشر الكراهية والصفات غير الصحيحة عنا نحن المسلمين.

■ ما الفلسفة التي يقوم عليها نشاط المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة؟

● المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة موجود في مصر، وقد أُنشئ المجلس في عام ١٩٨٤؛ حيث اجتمعت الهيئات التي تعمل في مجال الخير لوجه الله -تعالى-، وطلبت من مصر ومن شيخ الأزهر التنسيق بينهم، والمجلس يقوم بالتنسيق والتخطيط لكل ما يتعلق بشؤون الدعوة الإسلامية والإغاثة في العالم.

ومن الجدير بالذكر أن هذا المجلس أُنشئ بجهود كويتية، وقد أوقف هؤلاء المحسنون وقفًا خيريًا موجود في الكويت لمصلحة المجلس، ويتم إرسال ريع هذا الوقف إلى المجلس كل عام.

■ ماذا تقولون عن اتهام العمل الخيري ومؤسساته بالإرهاب؟

● هذه الفكرة الظالمة بُنيت على بعض الشبه، وهي أن بعض الهيئات -مع الأسف- استغلت فعل الخير للوصول إلى الشر، أنا أقول بعض الهيئات، هيئة، اثنين، خمسة، أيضًا بعضهم أخطأ، بعض هذه الهيئات أخطأ، وأرسل أموالًا إلى جهات مشبوهة، أو إلى جهات ممنوعة؛ لذلك فإن دور المجلس هو التدقيق على مثل هذه التجاوزات التي تكون في بعض الأحيان غير مقصودة؛ فيقوم المجلس بالتنبيه، ولفت نظر تلك المؤسسات إلى هذه الجهات المشبوهة، حتى يتوقفوا عن إرسال الأموال إليهم.

ولا شك أن هذه التهم أغلبها تهم



ظالمة، ونحن بوسعنا دفعها بتوسيع دائرة فعل الخير حتى يشمل غير المسلمين، ونعلن ذلك بشفافية، وهذا -ولله الحمد- وجدته متحققا في المؤسسات الكويتية؛ فهي لا تفرق في عطائها بأي نوع من التفرقة لا على حسب اللون أو الجنس أو الدين، كما رأيت من جهود الإخوة في جمعية إحياء التراث .

■ بصفتك أحد كبار المسؤولين في المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، ما التحدي الأكبر الذي يواجه الدعوة الإسلامية في الوقت الحالي؟

● التحدي الأكبر الذي يواجه الدعوة الإسلامية هو تدخل بعض الدول، ووضع أنفها في سبيل الدعوة الإسلامية؛ حيث ينظرون خطأً بعين الريبة إلى كل نشاط إسلامي، وهم يتشككون في كل نشاط تقوم به هيئة، أو مؤسسة، أو ما إلى ذلك، وهذا أيضًا سببه أن بعض الجماعات، أو بعض الجهات، استغلت فعل الخير ووصلت إلى الشر، وفعلوا الشر بأموال الخير، وعلنًا .

■ كيف تنظرون إلى الهجمة التي يشنها بعض الناس ضد الأزهر بين حين وآخر والتشكيك في مناهج الأزهر ورجالاته؟

● أحب أن أطمئنكم أن الأصوات التي تنتقد الأزهر، وتحاول أن تطعن فيه، وفي مناهجه، وما إلى ذلك، هي أصوات قليلة ونشاز، غاية الأمر أنها أصوات عالية؛ فهي تُسمِّع كثيرًا وصداها يُسمِّع كثيرًا، لكن هم أعداد قلائل جدًا؛ فلا تنزعجوا من ذلك نهائيًا، بل الله -سبحانه وتعالى- يفضحهم باستمرار، ويتساقطون واحدًا تلو الأخر؛ فاطمئنوا.

■ هل تؤتي تلك الحملات المشبوهة آثارها؟

● على العكس تمامًا؛ فهذه الحملات المشوهة أتت بنقيض المقصود منها، وجعلت همتنا أقوى، ونسير في طريقنا بقوة، وهم يندحرون، ويتساقطون في الطريق.

■ بعضهم يستغل دعوى تجديد الخطاب الديني في الهجوم على ثوابت الدين، والتشكيك في مصادره الأصيلة؛ فكيف تنظرون إلى هذا الأمر؟

● موضوع تجديد الخطاب الديني، مشكلته أن عددًا كبيرًا من الناس لا يفهم المقصود منه، حتى إننا عندما نقلنا للمسؤولين بالدولة أن بعض الأشخاص يريدون هدم السنة، ويريدون هدم القرآن، قالوا إن تجديد الخطاب الديني مهمة الأزهر، وهو منوطٌ بالأزهر، وعلَّق الأمر كله على الأزهر، وفي رقبة الأزهر؛ فهذا لن يكون إلا في حدود تجديد خطاب ديني فعلًا، وليس تبديدًا، هم يريدونه تبديدًا، ونحن سنجعله تجديدًا -إن شاء الله تعالى.

وأكثرهم لا يفهم ما يريد أن يقول، هل يوافق أحد على أننا نترك السنة؟! لا بالتأكيد .

■ هل هناك خطوات عملية لتأهيل الدعاة لمواجهة حملات التشكيك في دين الله -تعالى- وثوابته؟

● من فضل الله -سبحانه وتعالى- أن الأزهر الشريف يقوم بتدريب ثلاثمائة داعية على مستوى العالم، من الدول الأوروبية، ومن غيرها، كل ثلاثة أشهر؛ حيث يحضر هؤلاء الدعاة على نفقة الأزهر، سفرًا، وإقامةً، ومصروفات، وما إلى ذلك، لتأهيلهم وتدريبهم، والارتقاء بمستواهم العلمي والمهني، ودول العالم الآن تتسابق لإرسال أبنائها إلى الأزهر الشريف؛ فهذا المجهود الذي يقوم به الأزهر، لا شك أنه مجهود طيب يُشكر عليه، وأرجو أن نلاحظ أن هذه النفقات بالرغم من ميزانية الأزهر المتواضعة، نتيجةً للظروف المالية التي تعيشها مصر، لم يتأخر الأزهر في القيام بواجبه، ولم تتأخر مصر في القيام بواجبها، رغم المشكلات الاقتصادية التي تعانيها؛ فهي ترى أنه واجب كبير منوط بها تجاه العالم الإسلامي بأكمله.

■ كان من نتائج الثورات حدوث نوع من الانحدار الأخلاقي لدى الشباب، فكيف يتعامل الأزهر مع هذه الظاهرة كونه أكبر مؤسسة دعوية في العالم؟

● لا شك أن سنوات الفوضى التي مرت بالبلاد، في مصر، وسوريا، والعراق، والخراب الذي ترتب على ذلك، أثَّر تأثيرًا مباشرًا، ومعلوم -وفقًا للنظريات الاجتماعية- أن كل حرب، أو أي اضطرابات، لابد أن يترتب عليها مثل هذا الانحدار الأخلاقي، لا شك في ذلك، على سبيل المثال العراق الآن، هل الأخلاق تأثرت في العراق أم لا؟ تأثرت قطعًا، انتشر الفساد أم لا؟ انتشر قطعًا، وانتشرت السرقات قطعًا، وهكذا .

ولكن العلماء -بفضل الله سبحانه وتعالى- يحاولون أداء واجبهم في لم الشمل مرة أخرى، ومحاولة مقاومة مثل هذه الانحرافات، والعودة بالشباب إلى الأخلاق الحميدة، ونحاول الآن كشف أولئك الذين حاولوا التمرد على العادات، وعلى التقاليد، وعلى الأديان، وعلى الأخلاق؛ فاطمئنوا، لكن الأمر لن يكون بين يوم وليلة، هو استغرق أربع أو خمس سنوات، لا شَك سيأخذ على الأقل عشرين سنة، حتى تعود الأمور إلى نصابها، لكن أطمئنكم وأبشركم أن الأمور بدأت تعود بعودة الدولة.

■ رسالة للكويت وأهلها؟

أنا أناشد كل مواطن كويتي مخلص، أن يحافظ على هذا النظام القائم؛ لأنه حفاظ على الاستقرار، وأناشدهم أن ينظروا حولهم، ماذا حلّ بهذه الدول، التي حاول بعض الأشقياء زعزعة الأمن فيها بدعوى تغيير النظام، وتغيير الحاكم، وما إلى ذلك؛ فالهدف الأسمى يجب أن يكون لأهل الكويت جميعًا، هو المحافظة على الاستقرار في هذه الدولة، المحافظة على الاستقرار لن يتحقق إلا بحماية هذا النظام، وحماية القائمين على هذا النظام، وإجلالهم، وتكبيرهم؛ فهم يقدمون كل ما يملكون لهذا الشعب -والحمد لله- الشعب يعيش في أمان، وفي بحبوحة من العيش، وما إلى ذلك، لكن إذا سرنا خلف الأشقياء، سندمر كل هذا، وسيصير علينا ما صار على الدول المجاورة.

■ رسالة للغرب وحكوماته.

● نرجو الالتفات إلى أن المؤسسات الخيرية الإسلامية، هي أحد أهم مؤسسات المجتمع المدني، وهي من نتاج فكركم؛ فأنتم الذين أنشأتم مؤسسات المجتمع المدني، وتناشدون الدول أن تقوي مؤسسات المجتمع المدني، حتى تساعد الحكومات، وتقف عونًا في مساعدة الفقراء والمنكوبين حول العالم، وقد حققت هذه الجمعيات إنجازات رائعةً في هذا المجال، وساعدت كثير من الحكومات، على أداء رسالتها الإنسانية كما أنها ساعدتها على التفرغ للمشروعات الضخمة، وحماية أمنها الداخلي والخارجي، وما إلى ذلك، من هنا فلابد من تقويتها ودعمها ومساندتها بدلا من اتهامها بالإرهاب ومحاولة تجفيف منابعها والقضاء عليها؛ لأن الخاسر الأكبر في ذلك هو العمل الإنساني في العالم أجمع.

واقع التعليم الإسلامي في إفريقيا

د. أبوبكر عبد الله شعيب / أكاديمي سوداني - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المتتبع لمسيرة التعليم العربي الإسلامي بدول إفريقيا يجد أنها قامت على مبادرات فردية من جمعيات ومؤسسات خيرية من خارج إفريقيا، ومن أهل البر والإحسان من الأفارقة أنفسهم، ولم تخضع لسلطة تربوية مركزية، أو لاستراتيجية واحدة؛ فتعددت المدارس، وتعددت المستويات والشهادات، وسارت دون مرجعية علمية معترف بها، أما المناهج فيجري الخلط بينها وبين المقررات الدراسية، وفكرة المنهج نفسها بالمعنى العلمي التربوي مستحدثة وجديدة على التعليم العربي الإسلامي، والمقررات الدراسية مختلفة باختلاف المدارس، وباختلاف الكتب والمراجع المتاحة، أو الجماعة أو الطائفة التي تتبع لها تلك المدارس، وأغلب هذه المناهج لا تتوافر فيها الشروط الفنية والأسس النفسية والتربوية، وكثير منها مجلوب من دول عربية مختلفة.

إن الأساليب المتبعة في هذه المدارس ما زالت تسير وفق الأساليب والطرائق التقليدية، التي تقوم على التلقين والحفظ وحشو الذاكرة بالمعلومات، دون الاستفادة من الدراسات النفسية في مجال التعلُّم، أو الدراسات التربوية في مجالات تحديث نظم الأداء وتطوير أساليب التدريس، وقد تكون لشيوع طريقة التلقين والحفظ مسوغاتها الموضوعية في الزمن الماضي. إن التعليم العربي الإسلامي بحاجة إلى مراجعة شاملة لمواجهة التحديات العديدة التي يواجهها، والتي سنعرضها في النقاط التالية.

التحديات الداخلية

أولاً: اختلاف مناهج التعليم، واستقلال كل مؤسسة بوضع منهجها ومنح شهادتها، وعدم استقرار المنهج حتى في المؤسسة الواحدة أحياناً، وهذا عادة ما يكون في التعليم الأهلي لا الحكومي؛ لذا لابد من إعادة النظر في المنهج المطبق حالياً والمتوارث عبر الأجيال من الآباء والأجداد؛ بحيث يستوعب المتغيرات في المكان وحاضر العصر.

ثانياً: تجميع شتات مؤسسات هذا التعليم تحت مظلة إدارة تربوية واحدة فاعلة ومقتدرة، ذات رؤية واستراتيجية واضحة المعالم، ونجاح أي مشروع رهين بكفاية الجانب الإداري وفعاليته، وبراعة التخطيط وحسن التنظيم.

ثالثاً: البحث عن مصادر التمويل لتغطية نفقات هذا المشروع، وإذا كان حجم الإنفاق على التعليم مؤشراً قوياً على مستوى مخرجاته وجودتها؛ فلا يترك مصير التعليم العربي الإسلامي لجهود المنظمات التطوعية والجهات الخيرية وإمكانيات الأهالي الأفارقة البسطاء.

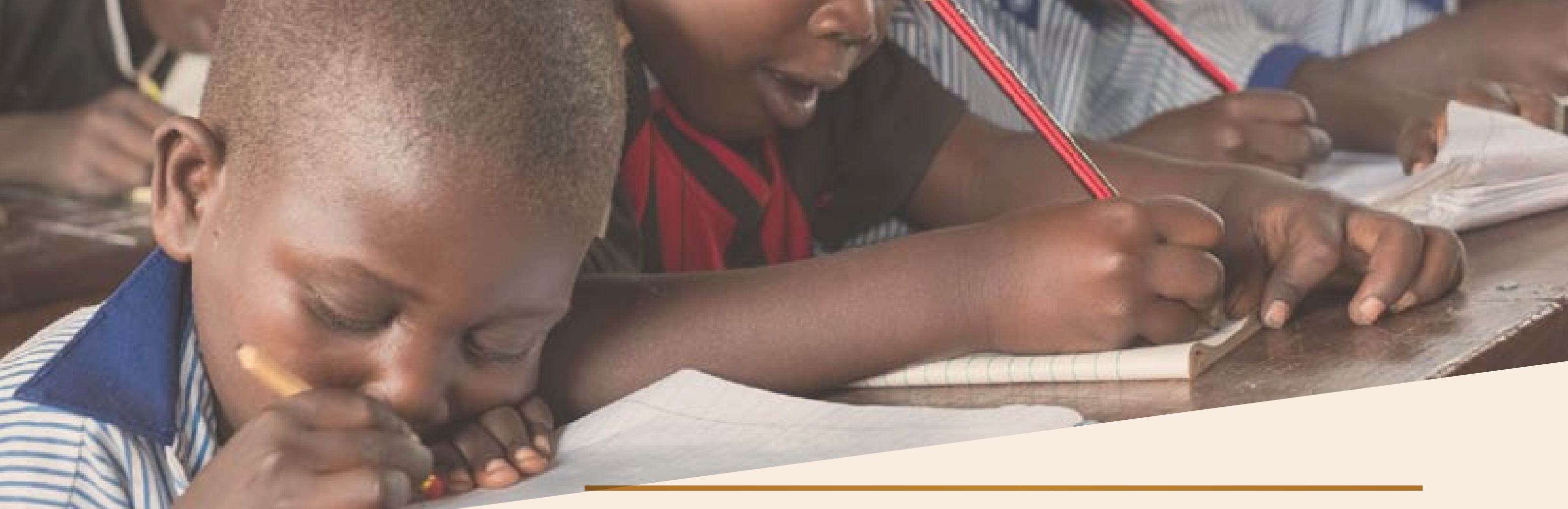
التحديات الخارجية

في مقابل المشكلات الداخلية الهيكلية للتعليم العربي الإسلامي تبرز التحديات والمشكلات الخارجية، التي يمكن إجمالها فيما يأتي:

١ - إن الساحة ليست خالية تمامًا أمام التعليم العربي الإسلامي؛ فهنالك مشروع التعليم الفرنسي الذي يجسّد الأهداف الثقافية الاستعمارية الفرنسية، والتعليم الإنجليزي، المسنود بالمال والرجال، والكفايات العلمية، والتجهيزات اللازمة، والنفوذ الاستعماري الذي يناصب التعليم العربي الإسلامي العداوة والبغضاء.

٢ - كما مثّل دور الحكومات الوطنية بعد الاستقلال امتداداً للنفوذ الاستعماري في الهيمنة الثقافية والفكرية، وذلك باتباع خطوات محددة، أبرزها





تيار العولمة سعى لخلخلة النظم التربوية القائمة، فبدؤوا بتجفيف منابعه بحجة محاربة الإرهاب والأصولية، وضيّقوا على كثير من الجامعات والمدارس الإسلامية

عدم الاعتراف بالتعليم العربي الإسلامي، وعدم توظيف خريجيه، وحرمانه من المساعدات المالية، وإن كانت بعض الحكومات قد بدأت بالفعل بالاعتراف به، وإدخال مواد ومقررات عصرية تجعل التعليم الإسلامي يواكب التطور والتقدّم.

٢ - الاتجاه نحو الجودة والاعتماد والتقويم وفق مقاييس عالمية؛ مما يحتم على كل مؤسسة تعليمية أو غيرها إعادة النظر في أساليب عملها ومناهجها، وكفاية الأداء فيها، ومبانيها وبيئتها وخدماتها، في إطار الجودة الشاملة ورفع كفاية المخرجات وجودة المنتجات.

٣ - تيار العولمة الذي سعى لخلخلة النظم التربوية القائمة، فبدؤوا بتجفيف منابعه بحجة محاربة الإرهاب والأصولية، وضيّقوا على كثير من الجامعات والمدارس الإسلامية، كما مارسوا الضغوط على عمل المنظمات الخيرية الإسلامية التي كانت تساهم بنصيب كبير في تمويل التعليم العربي الإسلامي؛ مما أدى إلى شللها وتوقفها.

رؤية وآفاق

كان التعليم العربي الإسلامي كالقلعة الحصينة التي احتمى خلفها المسلمون من غائلة الثقافة الاستعمارية، غير أن دور هذا التعليم ليس دورًا مرحليًا استنفد أغراضه مع رحيل الاستعمار، بل هو باق ما بقي الإسلام والمسلمون، وحتى تتحقق له هذه الاستمرارية لابد من الاستجابة لبعض الشروط لتجاوز التحديات والمشكلات التي سبق الحديث عنها، ومن ذلك:

القبول بفكرة التطور

أولاً: القبول بفكرة التطور، فقد ظل التعليم العربي الإسلامي يقدّم نفسه في قالب واحد، ولم ينل حظه من المراجعة والتقويم؛ وذلك لانعدام القوة الدافعة للتطور الذي يتلاءم مع التقدم الحديث، ونعني بالتطور إعادة النظر في بنية هذا التعليم، والقائمين عليه، ونُظُمه ومناهجه، بقصد التطوير والتجويد.

مظلة إدارة تربوية واحدة

ثانياً: ضرورة انتظام التعليم العربي الإسلامي تحت مظلة إدارة تربوية واحدة فاعلة ومقتدرة، تتولى مهام التخطيط ورسم السياسات وتنفيذها، واستنباط الوسائل، وتوفير الإمكانيات؛ فالإدارة التربوية الموحَّدة تعني التعامل مع منهج دراسي واحد بدلاً من العشوائية والتخبط بين عشرات المناهج المختلفة، وتعني الحصول على شهادة موحَّدة ذات مرجعية علمية معترف بها داخل البلاد وخارجها، ولا تقل عن نظيراتها من الشهادات الحكومية.

تشجيع النماذج الناجحة

ثالثاً: تشجيع النماذج الناجحة والاستفادة منها، مثل تجربة الجامعة الإسلامية في النيجر في مجال تطوير التعليم العربي الإسلامي في جمهورية النيجر، وهو مشروع يتم بالتعاون بين حكومة النيجر والبنك الإسلامي للتنمية بجدة ومجموعة من الخبراء في مجال التربية من الذين يهمهم أمر التعليم العربي الإسلامي، كما أن تجربة جامعة إفريقيا العالمية بالسودان من التجارب التي لاقت استحساناً؛ فهي ثمرة تعاون بين حكومة السودان وبعض المنظمات الأهلية والخيرية.

الحاجة إلى الدولة

رابعاً: التعليم العربي الإسلامي بحاجة إلى الدولة ليستفيد من ميزانياتها الضخمة المخصصة للتعليم، ولاسيما أن المسلمين هم الممول الرئيس لميزانيات دولهم، ولهم الحق في نفقات التعليم من الميزانية العامة، كما أن التعليم العربي الإسلامي بحاجة إلى الدولة للاعتراف بشهاداته وتوظيف خريجيه حتى لا يكونوا غرباء في دولهم.

كما أن الدولة لا تستطيع أن تتجاهل التعليم العربي الإسلامي إلى الأبد؛ لأنه يمثل رغبة شعبية عارمة، ولأن المواطنين على استعداد لمساندتها في النهوض بهذا التعليم، لقد أخفقت مشاريع محو الأمية في المنطقة باستعمال الحرف اللاتيني؛ فلجأت الدولة لتجربة محو الأمية بالحرف القرآني، وربط المدارس القرآنية بالتعليم العام؛ لأن الناس يألفون الحرف القرآني وينفرون من نظيره اللاتيني.

وقد استجابت بعض الدول لضغوط أولياء الأمور فأدخلت اللغة العربية والتربية الإسلامية في المنهج في مراحل التعليم العام جميعها، كما حدث في السنغال، وهو أول خرق لمبدأ العلمانية في التعليم؛ فهذا الاهتمام من الدول يُعد من باب: (الرجوع إلى الحق فضيلة)، وهو جدير بالاهتمام والتقدير.

دور المؤسسات الدولية

خامساً: من هنا يأتي دور المؤسسات الرسمية مثل الإيسيسكو والألسكو، والمنظمات الخيرية الإسلامية الأخرى، لاستلام زمام المبادرة وتقديم

الخبرة الفنية في مجال إعداد المعلمين، وتأليف الكتب، وتقديم المساعدات المادية، وتوفير الإمكانيات المطلوبة لتحقيق النهضة الشاملة للتعليم العربي الإسلامي على قاعدة الشراكة بين الحكومات وسلطات التعليم العربي الإسلامي ومؤسسات العالم العربي الإسلامي ومنظماته المعنية بهذا الأمر.

التطلعات

من هذه الورقة نخلص إلى أن هناك مشكلات وعقبات تعترض مسار التعليم العربي الإسلامي في إفريقيا، ولتذليل هذه العقبات لدينا بعض التطلعات التي نأمل أن تكون دافعاً ومعيناً للقائمين والعاملين على نهضة التعليم الإسلامي في إفريقيا، وهذه التطلعات هي:

١ - تكوين روابط للخريجين في الجامعات الإسلامية في الدول العربية والإسلامية من إفريقيا، وتوجيه العناية إليها ودعمها لتمكينها من أداء رسالتها.

٢ - تكوين لجان علمية متخصصة للنظر في إعداد مناهج موحَّدة للمدارس الإسلامية، تُراعى فيها أهداف المنهج ومحتواه الشرعي؛ بحيث يمكن توزيعه على المراحل، ويُراعى فيه إمكانية توحيد الشهادات والامتحانات ولاسيما في نهاية المرحلة الثانوية.

٣ - السعي إلى تنويع المساقات في التعليم الإسلامي، بإبقاء المدارس الإسلامية - أو بعضها - لتدريس علوم الشريعة، وإدخال شيء من التعليم المهني والتقني لتوفير سبل كسب العيش، وإنشاء مدارس تجمع بين تعليم العلوم الشرعية والأكاديمية، ويُراعى فيها توافق المواد الأكاديمية للشريعة بوصفها مصدر القيم.

٤ - الاهتمام بإدارات التعليم العربي الإسلامي الرسمية والتعاون معها، ومدّ يد العون إليها على المستويين المادي والفني.

٥ - اختيار المعلّم الداعية، صاحب الأهلية العلمية والخبرة العملية، ليكون تأثيره أكثر وأنفع.

٦ - إعطاء المعلم ما يكفيه من الأجر حتى يتسنى له أداء دوره على أكمل وجه.

٧ - إقامة دورات تدريبية تطويرية لمعلمي الدراسات الإسلامية واللغة العربية في بلدانهم.

٨ - تبصير المعلمين بكل ما هو جديد في مجال التربية وعلم النفس وطرائق التدريس الحديثة، وتثقيفهم في مجال الحاسوب والإنترنت.



ظل التعليم العربي الإسلامي يقدّم نفسه في قالب واحد، ولم ينل حظه من المراجعة والتقويم؛ وذلك لانعدام القوة الدافعة للتطور الذي يتلاءم مع التقدم الحديث

٩ - ابتعاث عدد من المعلمين من ذوي الكفاية للدراسات العليا بجامعات الدول العربية وغيرها من الدول الإسلامية.

١٠ - السعي عن طريق المنظمات والروابط والوزارات لدى الحكومات الإفريقية لاستيعاب خريجي الجامعات الإسلامية في وظائف التعليم العام، ومساواتهم بغيرهم في السلّم الوظيفي.

١١ - المطالبة بإدراج مشرفي التعليم الإسلامي في سلك المشرفين بالوزارات الوطنية طبقاً لشهاداتهم.

١٢ - إنشاء جمعيات طلابية ثقافية وعلمية لاكتشاف المواهب وصقلها وتنميتها.

١٣ - التوسع في إنشاء الإسكانات الطلابية الجامعية التي تُعنى بتربية الطلاب تربوياً، وصقل مواهبهم ومهاراتهم.

١٥ - الاهتمام بتعليم المرأة الإفريقية المسلمة بإنشاء مدارس ومعاهد وكليات، لإعدادها إعداداً يناسب طبيعتها ورسالتها في المجتمع.

١٦ - تزويد المعاهد والجامعات الإسلامية بالمراجع والمصادر باستمرار؛ حتى تعين الطلاب والأساتذة في التحصيل العلمي.

١٧ - إعداد برنامج مستمر في تعليم اللغة العربية - إذاعي وتلفزيوني - يُبث على مستوى القارة، ونسخه على وسائط إلكترونية عدة، وإهداء تسجيلاتها لدعم المكتبات الإسلامية في القارة.

١٨ - إنشاء مكتبات عامة يرتادها المثقفون من أبناء القارة للاستفادة منها.

١٩ - إنشاء مطابع ودور نشر في القارة، تشجّع حركة التأليف، وتزيد من نشر الكتاب الإسلامي والكتب التخصصية ذات الفائدة لطالبي العلم، وتعود بفائدة استثمارية للمؤسسات التعليمية والدعوية.

٢٠ - مراجعة الكتب الدراسية بما يتواءم والفكر الإسلامي الصحيح، ويجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويبتعد عن مواضع الخلاف والشقاق، ويدعو للألفة بين المسلمين.

٢١ - السعي إلى دعم المدارس القائمة وترميمها وتطويرها.

٢٢ - إنشاء مدارس جديدة، وتوزيعها توزيعاً جيداً، تشتمل على قاعات الدراسة والمكاتب الإدارية، فضلا عن بناء مساكن لإيواء الطلاب؛ ولاسيما في المرحلة الثانوية والجامعية.

٢٣ - تشجيع البحث العلمي، وذلك بابتعاث عدد مقدر من الطلاب والباحثين للدراسات العليا، ودعم المؤسسات ومراكز الأبحاث المهتمة بالبحث في التعليم، ولاسيما في التعليم الإسلامي في إفريقيا.

فقه التداوي من المرض العضوي والمعنوي

كتب: الشيخ فتحي الموصلي

جاء في الحديث عَن النَّبِيّ- ﷺ- قَالَ: «إِنّ اللّهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ» رواه أحمدَ وأصلَه في الصحيحين، دل هذا الحديثُ على فوائدَ وقواعدَ في (فقه المعالجة) نذكرها في النقاط التالية.

الأولى: الحديث فيه عموم؛ فكل داء سواء كان عضويا أم نفسيا أم معنويا؛ فلا بد له من دواء... لأن لفظ (داء) جاء نكرة في سياق النفي فيفيد العموم.

الثانية: أن العلم بالداء ميسور للجميع بخلاف الدواء؛ لا يعلمه إلا القليل؛ لهذا قد يعلم كثير من الناس أخطاء الواقع وأمراضه، لكن قد يتعذر عليهم العلم بالعلاج والدواء.

الثالثة: أن كلاً من الداء والدواء من الأمور القدرية؛ فكل منهما نازل وواقع بتقدير الله تعالى، وجعل الله تعالى لكل منهما أسبابا وشروطا.

الرابعة: الداء والمرض مطلوبا الرفع؛ لهذا التداوي والمعالجة والتطبب من السنن الشرعية الواجبة أو المستحبة... وأن العلم بطريق رفع الداء من العلوم النافعة والمقاصد الممدوحة.

الخامسة: أن المقابلة بين الداء والدواء من باب سنن التدافع؛ لهذا قد يغلب أحدهما على الآخر بحسب قوة الداعي وضعف المانع.

السادسة: أن الحديث مسوق في باب الامتنان بالأسباب؛ وهو من باب التيسير والرحمة واللطف؛ فما من داء إلا وقد قدّر الله له ما يزيله من العلاج والدواء، وفي الحديث إشارة لطيفة إلى الترغيب والحث على البحث والنظر والاستقصاء بحثا عن الدواء.

السابعة: أن الإبراء من المرض يكون بالعلم بالدواء أولا، وبموافقة الدواء للداء ثانيا، وبانتفاء الموانع ثالثا؛ لهذا يحمل العلم بالدواء في الحديث على العلم التام؛ وهو العلم بالسبب والشرط وانتفاء المانع... ومن العلم بالدواء: العلم بكيفية التداوي والمقدار.

الثامنة: إذا كانت الأدواء والأمراض عضوية ومعنوية؛ فكذلك الأدوية؛ فمنها الدواء الشرعي ومنها الدواء المادي ومنها الدواء النفسي المعنوي.

التاسعة: الموفق في فهم الشريعة يدرك مواطن الدواء فيها: فالفتوى والتقوى والمجادلة من باب الدواء؛ لهذا الحاكم في الشرعيات والواعظ في الإيمانيات والمناظر في الجدليات قائم في مقام وصف الدواء.

الفائدة العاشرة: أن الدواء النافع المعتبر هو الدواء الذي يستند إلى البحث العلمي والنظر التجريبي البحثي لا إلى التخمين أو التجربة القاصرة.

لهذا يخرج عن معنى الدواء المعتبر الأدوية الشعبية التي ليس لها مستند إلا الشيوع والانتشار، وكذلك لا يدخل في الأدوية الشرعية التجارب الشخصية في الدعوة؛ فالتجربة التي لا تمتزج بعنعنة الروايات وبأسانيد الآثار وعيون الأخبار وتراجم العلماء ومقاصد الفقهاء ومسالك أهل الإصلاح لا تداوي مرضاً ولا ترفع ضرراً.

حقائق شرعية وعلمية

- لكل داء دواء.
- لكل قاعدة استثناء.
- القسمة في هذا الباب ثنائية إما عالم وإما جاهل.
- طلب التداوي داخل في الأحكام الشرعية التكليفية.
- فرق بين وجود الشيء والعلم به.
- معالجة الأجساد والعقول والقلوب من باب واحد.
- تعيين الدواء من العلم الخاص.
- قد لايحصل الشفاء إلا بعد طول الزمان.
- الداء العضال يحتاج إلى نوع خاص من الدواء وفقه دقيق من المعالجة وتهيئة الأجساد أو القلوب على تقبل الدواء والعلاج.
- كل دواء لا يكون مستنده العلم فهو في الحال أو في المآل داء.

والله وحده الشافي من جميع الأمراض والأدواء.

السلفية بين الإقصاء والادعاء (١٠)

السلفية وتقديم النقل على العقل (٢)

نقد وتحليل لمؤتمر السلفية تحولاتها ومستقبلها

كتب: د. خالد آل رحيم

تحدثنا في المقال السابق عن تعريف العقل ومكانته في الإسلام، وأنه ليس له السيادة الكاملة، ولكن له حد لا يتعداه، واليوم حديثنا عن علاقة العقل بالشريعة.



أولاً: علاقة العقل بالشريعة

جاءت الشريعة بحفظ الضروريات الخمس وهي: الدين، والعقل، والمال، والنفس، والنسل، وهذه المصالح راعتها الشرائع جميعاً، وإن اختلف في طرائق رعايتها والمحافظة عليها، والشريعة الإسلامية وهي خاتمة الشرائع راعتها على أتم وجوه الرعاية؛ فشرعت الأحكام لإيجادها أولاً والمحافظة عليها ثانياً، والعقل وهبه الله تعالى للناس؛ فهم في أصله سواء، وشرع لحفظه تحريم ما يفسده من كل مسكر ومعاقبة من يتناول المسكرات والمخدرات (الوجيز في أصول الفقه ٣٨٠)، وأوجبت الشريعة دية كاملة على كل من جنى على العقل ورغبت في التفكر والنظر والتدبر؛ مما يُنمي العقل (العقد الثمين ٤٨).

ثانياً: إعمال العقل جزء من أحكام الشريعة

فقد أمر -تعالى- كل من يعاند شرعه أن يُعمل عقله ليأتي بالبراهين على قوله الذي يصادم الشريعة؛ فقال -تعالى-: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(بقرة١١١)، وكذلك دعا أهل الكتاب إلى التعقل فيما يحاجون؛ لأن حجتهم باطلة؛ وذلك لسبب بسيط، أن التوارة والإنجيل لم ينزلا إلا بعد إبراهيم، فلو أنهم أعملوا عقولهم، ما قالوا قولتهم الباطلة، فقال -تعالى-: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران: ٦٥).

وكذلك دائما ما يدعو -جل وعلا- إلى تدبر القرآن، وهذا لا يكون إلا من عقول سليمة صحيحة؛ لأن هذا التدبر المخلص دائماً ما يقود للحق؛ فقال -تعالى-: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (النساء: ٨٢).

ثالثاً: رحمة الله بالعقل

ومن أعظم رحمات الله -تعالى- بالعقل الذي هو مناط التكليف إرسال الرسل إليه لهدايته ولبيان ما خفي عليه، ومالم يكن للعقل قدرة على معرفته من الغيبيات كقوله -تعالى-: ﴿وَيَسأَلونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلِ الرّوحُ مِن أَمرِ رَبّي وَما أوتيتُم مِنَ العِلمِ إِلّا قَليلًا﴾ (إسراء: ٨٥).

رابعاً: اشتمال القرآن على الأدلة العقلية

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: إن القرآن بين فيه أصول الدين في المسائل والدلائل بيانا في غاية الإحكام ونهاية التمام، وأن خلاصة ما يذكره أهل الكلام والفلسفة، إنما هو ما بينه القرآن والحديث مع سلامة ذلك عما في كلامهم من التناقض والاختلاف واشتماله على ما تقصر عنه نهاية عقولهم وما لا يطمعون أن يكون مدلولهم، وبينا أن تعريف الشارع ودلالة الشرع ليس مجرد الإخبار كما يظنه من يظن ذلك من أهل الكلام والفلسفة؛ فإن الله -سبحانه- ضمن كتابه العزيز فيما أخبر عن نفسه وأسمائه وصفاته من الأدلة والآيات والأقيسة التي هي الأمثال المضروبة ما بين ثبوت المخبر بالعقل الصريح، كما خاطب أولي الألباب والنهى ومن يعقل ويسمع، بل قد ضمن كتابه من الأدلة العقلية في أمر المعاد ما هو بين لعامة العباد، بل ضمن في كتابه العزيز من الأدلة العقلية على ثبوت الأمر والنهى والوعد والوعيد، قال: ويذكر من الآيات والأمثال المضروبة التى هى مقاييس عقلية وبراهين يقينية ما لا يمكن أن يذكر أحد من أهل الكلام والفلسفة ما يقاربه، فضلاً عن ذكر ما يماثله أو يفضل عليه، ومن تدبر ذلك رأى أنه لم يذكر أحد طريقاً عقلياً يعرف به وجود الصانع أو شيء من أحواله من أهل الكلام والفلاسفة، إلا وقد جاء القرآن بما هو خير منه وأكمل وأنفع وأقوى وأقطع بتقدير صحة ما يذكره هؤلاء (درء تعارض العقل والنقل ج٧ ص ٣٥٢)

خامساً: تصنيف أهل الإسلام تجاه العقل

فأهل الإسلام باختلاف طوائفهم تجاه العقل على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول

قوم غلوا في تقديس العقل؛ فحكموا العقل وقدموه على النقل وجعلوا النقل تابعاً للعقل؛ فما وافق العقول من النصوص قبلوه، وما خالفه ردوه بحجة أن الأدلة العقلية قطعية الثبوت، أما

الأدلة النقلية ظنية الثبوت؛ ولذا عند تعارضها يجب تقديم الدليل العقلي والأخذ به، وهو رد مخالف للمعقول وقد رد عليهم الشاطبي -رحمه الله- فقال: وهم يردون الأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم، ويدعون مخالفة المعقول وغير جارية على مقتضى الدليل؛ فيجب ردها كالمنكرين لعذاب القبر والصراط والميزان ورؤية الله -جل وعلا- في الآخرة، وكذلك حديث الذبابة وقتلها، وأن في أحد جناحيها داء وفي الآخر دواء، وقد جعلوا القول بإثبات الصراط والميزان والحوض قولاً بما لا يعقل، وقد سئل بعضهم هل يكفر من قال بعدم رؤية الباري في الآخرة؟ فقال: لا يكفر؛ لأنه قال مالا يعقل، ومن قال ما لا يعقل فليس بكافر (الاعتصام ١٦٤)

الصنف الثاني

قوم ذموا العقل وعطلوه وأصبحوا يقرون من الأمور ما يُكذب به صريح العقل، وهذا هو موقف الخرافيين من المتصوفة، قال ابن تيمية -رحمه الله-: وكثير من المتصوفة يذمون العقل ويعيبونه ويرون أن الأحوال العالية والمقامات الرفيعة لا تصل إلا مع عدمه، ويقررون من الأمور بما يكذب به صريح العقل، ويمدحون السكر والجنون والوله وأموراً من المعارف والأحوال التي لا تكون إلا مع زوال العقل والتمييز، كما يصدقون بأمور يُعلم بالعقل الصريح بطلانها (مجموع الفتاوى).

الصنف الثالث

قوم توسطوا بين من غلا في العقل وقدسه، وبين من عطله وألغاه، وهم أهل السنة والجماعة الذين عرفوا للعقل قدره، فلم يغلوا فيه ويجعلوه وحده أصل علمهم، ولم يقروا من الأمور بما يكذب صريح العقل؛ لأن كلا الطرفين مذموم، ويوضح هذه الوسطية لمنهج أهل السنة شيخ الإسلام؛ حيث قال: العقل شرط في معرفة العلوم وكمال الأعمال وصلاحها، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلاً بذلك وهو غريزة في النفس، وقوته فيها قوة البصر التى في العين؛ فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التى يعجز وحده عن دركها، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه، لم تأت بما يُعلم بالعقل امتناعه، لكن المسرفين فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها لحجج عقلية بزعمهم، واعتقدوها حقاً وهي باطل، وعارضوا بها النبوات وما جاءت به، والمعرضون عنه صدقوا بأشياء باطلة، ودخلوا في أحوال وأعمال فاسدة، وخرجوا عن التمييز الذي فضل الله به بني آدم على غيرهم (نقلا عن السياق القرآني ص٦٠)، والسلفية وسط بين كل هؤلاء؛ فهي لم تعطل العقل تعطيلاً كاملاً، ولم تقدسه تقديسا متناهياً، بل أعطت للعقل حقه وقدره، كما أعطاه له المولى -تعالى- .

يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ

كتبه: محمد القاضي

وصف المولى -جلَّ وعلا- الصحابة بصفات عديدة، ومدحهم بخلال تخلقوا بها، هذه الصفات كانت السبب الرئيسيا لكي يسودوا العالم في سنوات قليلة، ومن هذه الصفات: تلك المحبة التي كانت سائدة بينهم من لحظة وطئت أقدام المهاجرين المدينة، تلك المحبة التي أخبر بها الله -جلَّ وعلا- في القرآن؛ إذ يقول المولى -سبحانه-: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (الحشر:٩).

يصف لك المولى ما في صدور الأنصار تجاه المهاجرين، ولا ينبئك مثل خبير؛ فالمحبة هنا محبة حقيقية، وليستْ محبة مصطنعة؛ فهي قائمة على الإيمان بالله ورسوله، والمشاركة في الطاعات والقربات، وتحمل مسؤولية الديانة.

هذه المحبة التي وطد دعائمها الرسولﷺ بما فعله عندما آخى بيْن المهاجرين والأنصار، وكان من أول الأعمال التي قام بهاﷺ؛ لأنه يعرف ما للمحبة والأخوة من أثر في الدعوة إلى الله؛ فالدعوة إلى لله تحتاج إلى المحبة حاجة الدم الى العروق التي يتدفق فيها؛ فوجود قلوب متحابة متآلفة في أي مكان في الدنيا مع اتباعهم للشرع وتعظيمهم للأوامر؛ يعني نجاح الدعوة وانتشارها وتغلغلها في قلوب الناس؛ فالمحبة في الله هي الحضن الدافئ التي تتهيأ فيه البذور للإنبات، وللزرع أن يؤتي أكله.

وفوات المحبة بيْن الإخوان وتآكلها خطر كبير يهدد الدعوة في أي مكان. لكَ أن تتخيل تسرب أسباب الشقاق وما أكثرها في هذه الأيام إلى صفوف أبناء الدعوة الواحدة، من التقاطع والتدابر والتشاحن لأسباب واهية، مردها في نهاية الأمر إلى الدنيا وحظ النفس، وقد حذر من ذلك المصطفىﷺ وقال: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا» (متفق عليه)، وقال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (متفق عليه).

التقاطع والتشاحن من مفسدات الأخوة الإيمانية، ومن قواطع المحبة، وإذا نظرت إلى الأسباب المؤدية للقطيعة؛ تجد المنافسة على المسؤوليات والمناصب منافسة غير حميدة يؤدي إلى التحاسد والتباغض، وهذه الأمراض الخبيثة تودي بالأخوة الإيمانية وروح المحبة بيْن الإخوة؛ فيجب أن ننتبه لهذه الثغرة التي يلج منها الشيطان الرجيم، ويبث من خلالها سمومه، وكذلك -بل أشد!- سوء الخلق وبذاءة اللسان، والحدة في الطبع، وعدم مراعاة مشاعر الآخرين حين توجيه الخطاب إليهم ولو كان نصحًا؛ فإن مراعاة مشاعر المتلقي هدي نبوي وسلوك مصطفوي.

كل هذا -وغيره كثير- من الأخلاق الواجبة، الواجب تعلمها والتخلق بها، والأخلاق الرذيلة الواجب تجنبها، والبُعد عنها من أجل الحفاظ على المحبة الإيمانية بيْن المؤمنين.

نحو ثقافة دينية شرعية رشيدة في زمن الشبهات والفتن - ١

كتب: أسامة شحادة

تكشف المحاولات المتكررة والدائمة والمتغيرة الشكل والأدوات والمسوغات لمصادمة قطعيات الإسلام وثوابته القرآنية أن مزاعم أعداء الإسلام بأن هدفهم تجديد الخطاب الديني، ومحاربة التطرف والغلو، وأنهم لا يسعون لتبديل الدين أو الاعتراض على الثوابت والقطعيات كلها مزاعم كاذبة وشعارات مضللة، فهاهم أولاء يسعون لضرب الإسلام وتفريغه من محتواه بنفي حجية السنة النبوية التشريعية؛ مما يعطل الإسلام.

وإن مما يحتاجه المسلمون في هذا الزمان هو الحرص على امتلاك ثقافة دينية شرعية رشيدة من مصادر مأمونة، تحصّنهم من مزالق تحريفات الغلو والتطرف الديني والعلماني للإسلام وأحكامه، وأيضاً تحصّنهم من مزالق التمييع للدين وتبديل أحكامه من قِبل أصحاب الأهواء والأغراض من أدعياء العلم والتدين وأصحاب الدعوات الهدامة واللادينية.

أهم الركائز

ومن أهم ركائز امتلاك هذه الثقافة الدينية الشرعية الرشيدة فهْم الإسلام بشريعته وعقيدته التي رضيها الله -عز وجل- الخالق لعباده ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)؛ ولذلك فأي دعوى بأن الدين مسألة ذوق كالفن والأدب وليس له منهج علمي أو معايير موضوعية هي سفسطة خبيثة مقصودة وتستهدف نسف مكانة الدين ومرجعيته في حياة البشر، وأي دعوى بأن هناك أشياء في الدين غير مكتملة، أو أن العصر الحديث يتطلب تبديلا في الدين بخلاف ما كان في عصور سابقة تعد تكذيبا صريحا للقرآن الكريم.

ثلاثة مصادر

وبعد استيعاب هذه الحقيقة يلزم إدراك أن حقيقة الدين يُتوصل لها من خلال ثلاثة مصادر كما يقول الأستاذ بسطامي سعيد في كتابه المتميز (مفهوم تجديد الدين): «إن مصادر حقائق الدين ثلاثة أشياء: النصوص الموحاة، ومعاني هذه النصوص، والاستنباط منها، ولكل واحد من هذه الأقسام منهج علمي محدَّد مضبوط؛ فهناك منهج علمي لتوثيق النصوص، ومنهج لطريقة فهمها، ومنهج للاستنباط منها، وما يتوصل إليه عن طريق هذه المناهج حقائق لا شك في ذلك».

الثقافة الدينية الرشيدة

والثقافة الدينية الشرعية الرشيدة التي تحصّن المسلم من الشبهات الفكرية العصرية كافة، أو ذات الجذور القديمة، تقوم على إدراك حقيقة دين الإسلام، التي يُتوصل إليها بالأشياء الثلاثة سالفة الذكر.

موثوقية نصوص الوحي

المصدر الأول لحقائق الدين هو: موثوقية نصوص الوحي التي يقوم الدين عليها؛ إذ إن هذا الدين الذي هو دين كل الأنبياء، يقوم على تلقي الوحي الرباني من قبل الرسل والأنبياء وتبليغه للناس ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (النساء: ١٦٣)، ولذلك كان من أعظم الظلم والجرائم الكذب على الله -عز وجل- وادّعاء بعض الدجالين النبوة وتلقي الوحي، قال -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ (الأنعام: ٩٣).

الرسالة المحمدية

ولما كان الإسلام والرسالة المحمدية خاتمة الرسالات فقد تكفل الرحمن بحفظها وحفظ وحيها، وهو القرآن الكريم والسنة النبوية لقوله -تعالى-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، ومن المتفق عليه بين أهل العلم أن

من أهم ركائز امتلاك الثقافة الدينية الشرعية الرشيدة فهْم الإسلام بشريعته وعقيدته التي رضيها الله -عز وجل- الخالق لعباده

السنة النبوية من الذكر الذي نزل من عند الله -عز وجل- وأنها مشمولة بالحفظ الرباني، قال الآمدى في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام): «والذكر اسم واقع على كل ما أنزل الله على نبيه -ﷺ- من قرآن أو من سنة يبين بها القرآن».

ضبط النص القرآني

والكلام في موثوقية النص القرآني وضبطه كلام طويل لا يكفيه مقالات مطولة بل كتب ضخمة؛ ولذلك سأكتفي بإشارات تكفي المنصف، وترشد المستكثر لمزيد من البحث والمطالعة، وقد سبق أن كتبتُ مقالات عدة بعنوان (قصة جمع القرآن الكريم)، بيّنت فيها تفاصيل تكوين لجنة علمية لعملية جمع القرآن الكريم في مصحف واحد بعد أن كانت صحفا متفرقة مكتوبة على أشياء مختلفة من الجلد والعظم وعسب النخل والخشب وغيرها، وأن هذه اللجنة كان لها منهج علمي في غاية الدقة والموضوعية في مقارنة المكتوب من القرآن الكريم مع المحفوظ في الصدور، علماً أن الحفظ والثقافة الشفوية هما الأصل في ثقافة العرب وغيرهم من الأمم في ذلك العصر.

منهج سائد

والتركيز على موثوقية ضبط القرآن الكريم كان منهجا سائدا في عهد النبي -ﷺ- وبين أصحابه -رضوان الله عليهم-؛ فهذا عمر الفاروق حين سمع هشام بن حكيم يقرأ سورة (الفرقان) بخلاف ما حفظها عمر من النبي -ﷺ-، أمسك به من ثيابه وذهب به إلى النبي -ﷺ- فقال: إني سمعت هذا يقرأ سورة (الفرقان) على غير ما أقرأتنيها! فقال رسول الله: «أرسله، اقرأ» فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ؛ فقال رسول الله: «هكذا أنزلت» ثم قال لي: «اقرأ» فقرأت فقال: «هكذا أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه». متفق عليه.

وقد تطورت مع الزمن كثير من العلوم المساعدة لتوثيق النص القرآني وسلامته فظهر إعجام الحروف بالتنقيط حتى لا تختلط على غير العرب، ثم ظهر التشكيل للحرف، ثم نما علم الرسم العثماني للقرآن الكريم وتقسيم القرآن الكريم لأجزاء وأحزاب، وهكذا.

العلماء المنصفون

وكانت نتيجة ذلك اعتراف العلماء المنصفين من كل ملة ودين بسلامة القرآن الكريم من النقص والزيادة أو التحريف والتبديل، بخلاف الكتب السماوية السابقة التي يعترف أهلها بوقوع التبديل والتحريف والنقص والزيادة فيها والتناقض، وهناك كتب وأبحاث عديدة تفصل دقائق هذا المنهج العلمي الفريد الذي أكرم الله -عز وجل- به المسلمين.

السنة النبوية

أما السنة النبوية فقد أنعم الله -عز وجل- على المسلمين بعلم الإسناد والتراجم بما يميزهم عن كل الأمم والشعوب، وبهذه العلوم وما تفرع عنها تمكّن المسلمون من حفظ السنة النبوية وحملها للبشرية جمعاء ليوم الدين، من خلال عقلية عبقرية إبداعية.

منهج الدقة والتثبت

وكان النبي -ﷺ- هو من أرسى منهج الدقة والتثبت والإتقان في تلقي السنة النبوية بين أصحابه؛ فحين كان البراء بن عازب يتعلم من النبي -ﷺ- دعاء ما قبل النوم أخذ يردده حتى يحفظه فأخطأ في كلمة بسيطة فجعل محل كلمة نبيك كلمة رسولك، فردّه النبي وأصلحها له! يقول البراء: قال -عليه الصلاة والسلام-: «إذا أخذتَ مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم إني أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، واجعلهن من آخر كلامك، فإن متّ من ليلتك متّ وأنت على الفطرة»، قال البراء: فرددتهن لأستذكرهن، فقلت: آمنت برسولك الذي أرسلت، قال -عليه الصلاة والسلام-: قل: «آمنت بنبيّك الذي أرسلت» رواه مسلم.

توثيق السنة النبوية

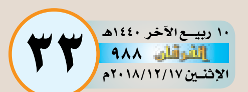
ومن مظاهر توثيق السنة النبوية بمنهج علمي أن الرحلة والسفر لطلب تعلم السنة النبوية والتوثق من صحتها بدأ من عصر الصحابة -رضوان الله عليهم-؛ فهذا جابر بن عبد الله يسافر على ناقته في الصحراء مسيرة شهر ليسمع حديثاً واحداً من عبدالله بن أنيس لم يكن سمعه جابر من النبي -ﷺ- مباشرة! وروي عن أبي بكر الصديق أنه أول من تثبت في ضبط الأخبار حين حدّثه المغيرة بن شعبة أن النبي -ﷺ- أعطى الجدة سدس الميراث؛ فقال له الصدّيق: «هل معك غيرك» فشهد معه محمد بن مسلمة.

نهج الصحابة والسلف

ومن نهج الصحابة والسلف كانت انطلاقة العلوم الشرعية المختصة بالتوثق من الروايات النبوية وفحْص سلامتها، وطرح الدخيل عليها أو تصحيح الخطأ والوهم المختلط بها، وقد بلغت علوم توثيق السنة النبوية حد تفريق العلماء بين روايات الراوي الواحد بحسب عمره؛ فيَقبلون حديثه في مرحلة عمرية معينة، ويرفضون حديثه في مرحلة أخرى! وقد يَقبلون حديثه إذا حدث عن كتاب، ويرفضون حديثه من ذاكرته لسوء حفظه أو تغيره من السن! وقد يقبلون حديثه عن شيخ أو راوٍ معين، ويرفضون حديثه عن غيره من الشيوخ أو الرواة لعدم طول اللقاء به والتثبت عنه!

حقيقة ساطعة

في الختام: هذه إشارات في بيان الدقة البالغة في توثيق نصوص الوحي الإسلامي في القرآن الكريم والسنة النبوية، وهي حقيقة ساطعة، يحق للمسلمين الافتخار بها على كل أمم الدنيا، ويلزم أن تكون هذه قناعة وثقافة دينية شرعية أصيلة، لا تقبل أي تشكيك أو طعن، ويلزم أن تتوسع وتنتشر بكثافة الأبحاث والمقالات والكتب التي تقرب هذه الحقيقة لعامة المسلمين بوسائل التعليم ونشر الأفكار وبكافة اللغات لسد الطريق على طوفان الشبهات والافتراءات على الإسلام والشريعة الغراء.





سمومٌ استشراقية وسُبُل مواجهتها

مركز سلف للبحوث والدراسات

لا يخفى على دارس للواقع العلمي للصراع الفكري بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، أن المعنيَّ الأول بصِياغة الأفكار حول الإسلام سلبا أو إيجابا، هي الحركة الاستشراقية؛ فقد أوقف المستشرقون حياتهم العلمية وإنجازاتهم الثقافية لدراسة الدين الإسلامي وقيمه ومبادئه، ولا شك أن محاولة نقد الإسلام من داخله أو ما يسمى بعملية التفجير من الداخل قد ساهمت في تشويش كثير من الأفكار، وإثارة الشبهات حول الإسلام والرسول ﷺ، ولم يقتصر هذا الجهد على المخالفين للإسلام، بل أثر على كثير من المثقفين، وقادة الفكر في العالم الإسلامي، وأربكهم في كثير من القضايا، وزعزع قناعتهم في المسلّمات، وسوف نقوم بإلمامة سريعة ببعض المناهج الاستشراقية، لنقدم الوسائل العلمية لمواجهتها، ومن بين أهم مناهجهم التي اعتمدوها في نقد الإسلام من الداخل المناهج الآتية:

منهج التحليل بدل البناء على الوقائع

هو منهج خطير، من لم يتنبه له؛ فإنه يقع أسيرا للشِّباك التي يرميها القوم في بحور الشريعة؛ فمن ذلك أن الواحد منهم يقدّم نتيجة لم يكلف نفسه بفحص مقدماتها، ألا ترى (ول ديورانت) يقول في كتابه الموسوعي (قصة الحضارة) عن النبيﷺ: وقد أعانه نشاطه وصحته على أداء واجبات الحب والحرب، لكنه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره، وظن أن يهود خيبر قد دسّوا له السُّم في اللحم قبل عام من ذلك الوقت؟

فهو يريد من خلال هذا التحليل أن ينكر واقعة دس السم للنبيﷺ، وبطبيعة الحال سوف يصل إلى نتيجتين:

الأولى : تبرئة اليهود من هذا الجرم.

والثانية: نفي معجزة من معجزاته وهي نُطق الكتف للنبيﷺ بوضع السم فيها، وقس على ذلك.

تبنيهم دعوى الاستفادة

إنهم لا ينطلقون من أن القرآن نزل من عند الله، وأن محمدا رسول الله، وإنما يجعلون من نصوص القرآن والسنة نصوصا مؤلفة



ينبغي إنشاء وعي ثقافي بتاريخ الأمة ومقوماتها ونقاط قوتها في الماضي والحاضر، وتعزيز الثقة بالثقافة الإسلامية وتقويتها في نفوس الشباب

من شخص واحد، أو من أشخاص متعددين، وأثناء التأليف قاموا بالاستفادة من مجموعة من المعارف المختلفة الموجودة في زمنهم، كالكتب السماوية والحضارات الموجودة، ويقومون بالاستدلال على ذلك بأي تشابه، أو تواطؤ وجدوه يشهد لهذه الفكرة، وهذا ما دندن حوله المستشرق الألماني (تيودور نولدكه) في كتابه (تاريخ القرآن)، وفي جانب القانون، جعلوا الإسلام مجرد نسخة من القانون الروماني، وما الإسلام إلا لون من ألوان الجمع بين الإسلام والمسيحية، وهو مجرد قراءة توفيقية، إلى غير ذلك من الدعاوى التي يصدرها هؤلاء المناوئون للإسلام.

ومعضلة المستشرق أيا كان أنه يتعامل مع الأديان على أنها منفصلة عن بعضها، لا يجمع بينها رابط؛ فلما جاء دور المقارنة، سمح لمخيلته أن تنسج إجابات عن تساؤلات بنيت على رؤية سطحية مسبقة، من تأثر بمن؟ وما أدلة التأثير؟ وهكذا بدل أن تكون حالات التشابه بين الأديان عاملًا يوحّدها ويرجعها إلى منبعها الأصلي، ومن ثم يؤكد غايتها المتجسدة في هداية البشر؛ فقد تحولت بيد المستشرق إلى أداة سطوٍ فكري، يتم بواسطتها إفراغ الإسلام من مضمونه، وذلك بإرجاعه إلى مصادر خارجية، كالنصرانية، واليهودية، والمجوسية، والبوذية، والبابلية.

العلمانية والمادية

وهو منهج يتم استبعاد البعد الديني من خلاله لأي تصرف يقوم به النبيﷺ وأصحابه، ويتمّ تفسير تصرفاتهم تفسيرًا ماديًّا نفعيًّا؛ فتفسر الفتوحات على أنها مطامع توسعية دعا إليها الجفاف؛ فندرة المياه في الجزيرة العربية، كانت عاملًا أساسيًّا في كثرة الفتوحات إلى هذا الحد، وتوزع التهمة على سائر الإنجازات الحضارية للأمة، وفق زبد من مضحكات التأويل ومستكرهات المنطق، ومن ثم فإن التوسع لا يمكن أن يفهم إلا في إطار عوامل اقتصادية بحته لا علاقة لها بنشر القيم أو الدوافع الدينية.

وخطر هذه النظرة أن أصحابها يستندون إلى أحداث ووقائع يفسرونها تفسيرًا خاصًّا بهم؛ فلزم على المدافعين عن الهوية الإسلامية أن يكونوا على قدر من التيقظ والوعي، يخولهم لمواجهة هذا الفكر، وذلك لا يكون إلا باستخدام آليات علمية جادة تضع حدًّا لهذه الثغرات، وتبدي الإسلام في صورته الحقيقية بعيدا عن التصورات الوهمية التي قدمها هؤلاء، وذلك بتبني وسائل متعددة غير تقليدية يمكن معها المناجزة على أكثر من صعيد، ومن هذه الوسائل:

- إعداد موسوعات للرد على المستشرقين.
- إعداد دائرة معارف إسلامية جديدة.
- فتح معاهد للدراسات الاستشراقية في الجامعات الإسلامية، تعنى بما يصدر عن المستشرقين تصنيفًا ودراسةً ونقدًا.
- تدريس الاستشراق وآثاره ومناهجه في الأقسام العلمية في الجامعات الإسلامية.

وجه من وجوه الاستعمار

هذا وينبغي استحضار أن الاستشراق وجه من وجوه الاستعمار؛ فلذلك هو قوي بقوته؛ فكلما ضعفت الأمة ماديًّا انعكس هذا الضعف على العطاء العلمي والثقافي؛ فلذلك ينبغي إدراك ذلك أثناء المواجهة العلمية للاستشراق، وهو أن من عوامل استقوائه على الأمة ضعفها وشعور أبنائها بالضعف؛ فينبغي إنشاء وعي ثقافي بتاريخ الأمة ومقوماتها ونقاط قوتها في الماضي والحاضر، وتعزيز الثقة بالثقافة الإسلامية وتقويتها في نفوس الشباب والمبتعثين للخارج، مع استغلال الموارد الاقتصادية للأمة في نشر دينها والتعريف بنبيهاﷺ وبرسالته، كما ينبغي التركيز على جوانب الخلل العلمي في البحث الاستشراقي، وتبيين عدم نزاهة الآليات العلمية عندهم، وينبني على ذلك بطبيعة الحال عدم صحة النتائج التي بنوها على مقدماتهم الباطلة، التي استحضروا فيها العداء والخصومة الثقافية أكثر من استحضارهم لأخلاق العلم، وهو أمر لن يجد الباحث فيه كبير عناء، هذا فضلا عن توفير مادة علمية مبسطة لغير المختصين، ولاسيما من المبتعثين وأصحاب التخصصات في العلوم الإنسانية؛ لأنهم عرضة للأفكار الاستشراقية لاحتكاكهم بالعلوم الغربية، وضعف تصور كثير منهم للعلوم الشرعية؛ وذلك أن الدراسات الاستشراقية ركزت جهودها على تاريخ الأمة القديم، ولا سيما الفتن والحروب الأهلية، والفرق الدينية الهامشية، وكل مسألة تظهر سلبيات هذا التاريخ، كما عمدوا إلى تعظيم دور الفرق الدينية بقصد النيل من وحدة الإسلام، ووحدة مجتمعه وحضارته، وجعلوا من الفرق الدينية صانعًا لعقيدة المسلمين على مرِّ التاريخ؛ فلزم أن يؤرَّخ لهذه الفرق، والمدافعة التي حصلت بينها وبين أهل السنة في سبيل حماية العقيدة الإسلامية من كل دخيل عليها حتى بقيت ناصعة واضحة لمن أرادها؛ وعليه فإن أخذ هذا المعنى بالحسبان وتوفير هذه المادة ومحاولة تقريبها من الجميع يعد من أعظم أبواب نصرة الدين.



كيف نحمي مناهج التعليم من حملات التغريب ؟

كتب: محمود طراد - ماجستير الثقافة الإسلامية

التعليم فريضة افترضها الله على عباده، وقاية لهم من أسباب الخسران في الدنيا والآخرة، قال -تعالى-: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، وقال ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين». سفيان الثوري عن منصور عن رجل عن علي رضي الله عنه في قوله -تعالى- ﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾، يقول: «أدبوهم وعلموهم»، ولقد اتفقت كلمة علماء الإسلام على أن التعليم ضروري لجميع الناس.

وبالعلم تقوم الدول، وتتسع رقعتها، وتنتشر حضارتها. كانت حملات التغريب للمناهج العربية والإسلامية كما رأينا في المقال السابق، ونحن اليوم نتدارس في هذه السطور كيفية مواجهة هذه الحملات.

أولاً: تحديد أهداف حملات التغريب

عندما نقوم بتحديد أهداف الحملات التغريبية يسهل علينا التعامل مع هذه الحملات، وهنا يجمع الباحثون أن أهم هذه الأهداف:

١- الهدف الديني؛ حيث إن الاستشراق بدأ بالرهبان، ثم استمر، ومعظم المستشرقين من رجال الكهنوت، وهؤلاء يهمهم أن يطعنوا في الدين الإسلامي ويشوهوا محاسنه، ويحرفوا حقائقه؛ ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج، لصوص وسفاكو دماء.

٢- الهدف الثاني: إحياء اللهجات العرقية لتمزيق الوطن (محاربة اللغة العربية)، وإحياء اللهجات واللغات المحلية رغبة في تمزيق الوطن الواحد، وإحياء الحضارات القديمة، كالفرعونية عند المصريين، والفينيقية عند أهل الشام، والآشورية عند سكان العراق؛ لتمزيق الوطن الإسلامي، والله -تعالى- يوضح لنا هذين الهدفين في القرآن الكريم في مثل قوله -تعالى-: ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾، وقوله -تعالى-: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (الصف: ٨، ٩)

يجب تمكين الثقافة الإسلامية قبل عملية الانفتاح؛ حيث إن ثقافة أي أمة تعتمد على عقيدتها وقيمها وأخلاقها

ثانياً: دعم التعليم الديني في المدارس والمعاهد والجامعات ومؤسسات المجتمع المدني

يقول المبشر (وليم بلقراف): متى تولى القرآنُ ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمدﷺ وعن كتابه. ولا شك أن تنحية القرآن -التعليم الديني- يؤدي إلى تفريغ الشخصية المسلمة من مكوناتها الرئيسة؛ ليسهل بعد ذلك وضع مناهج تغريبية، يتم قبولها لدى جيل ليست لديه المعرفة الإيمانية الكافية، قيل لوزير المستعمرات الفرنسي (لاكوست): لماذا ما تأثرت الجزائر وقد مكث الاحتلال فيها (١٢٩ عاما)؟ قال: وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟!

ويقول أحدهم: يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني؛ لأن كثيراً من المسلمين قد زُعزع اعتقادهم بالإسلام وبالقرآن، حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية، وتعلموا اللغات الأجنبية).

ثالثاً: ترسيخ قيم الاعتزاز بالثقافة العربية والإسلامية

فالقرآن الكريم يربي المجتمع المسلم على الاعتزاز بالدين وتعاليمه، وفي هذا يقول الله -تعالى-: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾(الزخرف: ٤٣- ٤٤)، وقال -تعالى-: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم﴾ (الأنبياء: ١٠)، أي فيه شرفكم وفخركم وعلو قدركم، وعظم أمركم. والتاريخ أيضاً يوكد على أن الحضارة الإسلامية التي امتدت قروناً طويلة، كانت قائمة على الثقافة الإسلامية سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وأنها الحضارة التي أعطت كل ذي حق حقه ولو كان كافراً، وقد مَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه بِشَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ يَسْأَلُ عَلَى أَبْوَابِ النَّاسِ، فَقَالَ: مَا أَنْصَفْنَاكَ أَنْ كُنَّا أَخَذْنَا مِنْكَ الْجِزْيَةَ فِي شَبِيبَتِكَ ثُمَّ ضَيَّعْنَاكَ فِي كِبَرِكَ، ثُمَّ أَجْرَى عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مَا يُصْلِحُهُ.

رابعاً: مراقبة ضوابط الانفتاح الحضاري على الآخر

وذلك من خلال:

١- التأكيد على أن الإسلام لم يأمر بالانغلاق، لكنه يضبط العلاقات، قال -تعالى-: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾(الحجرات: ١٣).

٢- الحفاظ على هوية الأمة وثقافتها عند الانفتاح على الآخرين.

٣- تمكين الثقافة الإسلامية قبل عملية الانفتاح؛ حيث إن ثقافة أي أمة تعتمد على عقيدتها وقيمها وأخلاقها، وثقافتنا الإسلامية هي التي نلتجىء إليها عند الصراع الفكري مع الثقافات.

٤- اختيار الطوائف التي ستنفتح على الآخر للأخذ والاقتباس، وهؤلاء يتعين في حقهم التمكن من الثقافة حتى لا ينقلوا للأمة ما يتعارض مع ثوابتها. وقد حذر النبيﷺ من الرؤوس الجهال الذين يضلون الناس؛ حيث قال: «حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»، وهذه ولا شك بعض الضوابط.

خامساً: إعداد لجان متمكنة للتمحيص والنقد قبل النقل

وحيث إنه لا سبيل إلى الهروب من هذا الانفتاح الثقافي؛ فإن أهم الأدوار التي تقع على عاتق الأمة، إعداد اللجان المتخصصة المتمكنة من ثقافتنا العربية والإسلامية، للقيام بعمل الانتقاء، وقد يبدو هذا العمل سهلاً في العلوم التطبيقية، لكنه أصعب وأدق في العلوم الأدبية والفكرية والفلسفية، لاسيما إذا كانت الأمة تعتقد عقيدة معينة، وتتبنى فلسفة ما، أضف إلى ذلك أن من أهم أعمال هذه اللجان: قياس المنقول على المعايير الإسلامية؛ فلكي تتأكد الأمة من صحة ما نقل إليها في مناهج التعليم أو غيرها؛ فلابد من قياسه بأربعة أمور:

١- أصول الشريعة وثوابتها.

٢- هوية الأمة.

٣- البرهان.

٤- المصلحة.

فيشترط ألا يتعارض المنقول مع الثوابت، وأن يرسخ هوية الأمة، وأن يثبت أحقية نقله، وأن يحقق مصلحة للأمة لا يجر إليها مفسدة، وهذه الشروط دائماً مجتمعة.

سادساً: إعداد مشاريع للحفاظ على اللغة العربية

فطالما نبحث في كيفية الحفاظ على مناهجنا التعليمية من التغريب؛ فعلينا أن نحافظ على الباب الذي تنتقل منه الثقافات، وهو باب اللغة؛ فهي التي تشكل جزءاً مهماً من هوية الأمة، وهي التي ترتبط بها صعوداً وهبوطاً، يقول الرافعي: فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته؛ إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته، انقطع من نسب ماضيه، وفي الوقت ذاته ينبغي الحذر من الدعوات التي تربط بين التخلق وبين الحفاظ على اللغة العربية، ويكفى أن الذين تولوا كبر هذه الفرية من غير المسلمين والعرب، ومنهم اللورد (دوفرين) الذي قدم مصر مع الاحتلال البريطاني؛ إذ يقول: «إن أمل التقدم ضعيف في مصر طالما أن العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية، لغة القرآن كما هي في الوقت الحاضر».

وصية السلف باللغة العربية

أما المسلمون المتمسكون بهويتهم، فلا ينفكون عن لغتهم التي نزل بها القرآن، قال -تعالى-: ﴿بلسان عربي مبين﴾(الشعراء: ١٩٥)، ويقول عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلَّموا العربيةَ؛ فإنها من دينِكم، وتعلَّموا الفرائضَ؛ فإنها من دينكم». وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري -رضي الله عنهما-: أمَّا بعد، فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأَعْرِبُوا القرآنَ؛ فإنه عربي، وقال الشعبي: النحو كالملح في الطعام لا يُستغنى عنه، ويقول الإمام الشافعي: لا أُسأل عن مسألة من مسائل الفقه، إلا أجبت عنها من قواعد النحوِ.

والعمل بهذه الوصايا يوجب علينا تحفيز الطلاب إلى التخصص في اللغة العربية وفروعها، ووجب علينا تحسين صورة معلمي اللغة العربية وآدابها؛ فإن تم الحفاظ على اللغة سهل -بإذن الله- الحفاظ على المناهج من التغريب والتحريف، حفظ الله مجتمعاتنا من كل شر.



صحة الوقف منوطة بأهلية الواقف (٢)

كتب: د. عيسى القدومي

باب الوقف من الأبواب المهمة التي من الأهميّة تقرير ضوابطه؛ ذلك أنّ عامّة أحكام الوقف اجتهاديّة؛ فلا مناص من الانطلاق في تقريرها من أصول الشريعة العامّة الضابطة لباب المصالح والمنافع على وجه الخصوص، ثمّ من القواعد الفقهيّة الكلّيّة، ثم يترجم كلّ ذلك على هيئة ضوابط خاصّة بباب الوقف، وهو ما سنتناوله في هذه السلسلة المباركة إن شاء الله، واليوم نستكمل الحديث عن الضابط الأول وهو صحة صحّة الوقف منوطةٌ بأهليّة الواقف.

ذكرنا في المقال السابق أن الفقهاء اتفقوا على أنّ المجنون لا يصحّ منه الوقف حالَ جنونه وغياب عقله، وإنّما بحثوا بشيءٍ من التّفصيل حكم وقفه -كبحثهم لسائر تصرّفاته- إذا لم يكن جنونُه مطبقاً، بمعنى أنّه يُجنّ حيناً ويُفيق حينًا، ويُلحَق باسم الجنون في الحكم صور وأوصاف تُقاربُه في تحقيق فساد جزئيٍّ في العقل، مثل: العَتَه الشّديد، والخَرَف، والسَّفَه، والسُّكْر، والغضب الشديد المطبق على العقل، وتوقفنا عند توجهات الفقهاء الفقهية في حالة السكر.

التوجُّهات الفقهيّة

يمكن إجمال التوجُّهات الفقهيّة في ذلك في الآتي:

الاتّجاه الأوّل

أنّ تصرُّفات السّكران القوليّة ليست معتبرة؛ فلا يقع طلاقه ولا عتقه ولا بيعه ولا شراؤه ولا تبرّعاته؛ لأنّه غائب العقل، ولا ارتباطَ بين استحقاقِه للعقوبة وبين إنفاذ عقوده وتصرُّفاته؛ لأنّ شرط اعتبار العقود هو التمييز والعقل، وهو لا عقل له ولا تمييز، وقد قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ...﴾؛ فقد جعلَ السُّكْرَ مانعاً من علم السَّكران بما يقول، وجعلَ عَوْدَ العلم غايةً لزوال السُّكْر، فالسُّكْر وتميُّزُ القصد نقيضان؛ وعليه فإنّ كلّ تصرُّف يُشترطُ فيه العقل والتمييز لا يصحّ من السّكران، واستحقاقُه العقوبةَ شأنٌ آخر، وقد ذهب إلى هذا أكثر المالكيّة، وبعض الحنابلة، واختاره شيخ الإسلام، وتلميذه ابن القيّم.

الاتّجاه الثاني

أنّ الأصل في تصرُّفات السّكران الصحّة والنّفاذ، إلا في مسائل استثنوها على خلاف فيها بينهم، وأجود ما تمسّك به هؤلاء من الأدلّة هو أنّ السكران مكلّف، ولم يدلّ دليلٌ من الشّرع على رفع القلم عنه كما هو الحال في المجنون والنّائم والصغير غير المميّز، ومع ذلك فهو مسلكٌ ضعيفٌ، وقد بسط شيخ الإسلام الأدلّة على ضعفه ونُصرة القول الأوّل في الموضع المشار إليه، وقد ذهب إلى هذا الحنفيّة والشافعيّة والحنابلة، وبعض المالكيّة، ولم يخلُ مذهبٌ من مخالفٍ من أهلِه للمشهورِ فيه، في شأن السكران ومسائله.

حكم وقف السّكران

وقلّ من نصّ على حكم وقف السّكران صراحةً، وإنّما اكتُفي بتخريج حُكم وقفه على إطلاقات الفقهاء والأصوليّين من المذاهبِ المختلفة في أحكام الأهليّة وعوارضِها، وتأثير السُّكْر على المكلَّف باعتباره عارضاً يعرض له، هكذا غالباً.

قال علاء الدّين البخاري الحنفيَ: «لمّا كان في وُسعه دفعُ السُّكْر عن نفسه بالامتناع عن الشُّرب، كان هو بالإقدام على الشُّرب مضيّعًا للقُدْرة، فيبقى التّكليف متوجّهًا عليه في حقّ الإثم، وإنْ لم تبق في حقّ الأداء، وبهذا الطّريق بقي التّكليف بالعبادات في حقّه وإن كان لا يقدر على الأداء ولا يصحّ منه الأداء... وإذا ثبت أنّ السّكران مخاطبٌ ثبت أن السُّكْر لا يُبطل شيئًا من الأهليّة، لأنّها بالعقل والبلوغ، والسُّكْر لا يؤثّر في العقل بالإعدام، فيلزمه أحكام الشّرع كلُّها من الصّلاة والصّوم وغيرهما، وتصحُّ عباراته كلُّها بالطّلاق والعتاق...»، وهذا واضحٌ في تصحيح وقفه إذا صحّ إعتاقُه، وهذا هو المذهب عند الحنفيّة كما أشرنا.

وقال النّووي: «وأمّا السّكران فالمذهب صحّة بيعه وشرائه وسائر عقوده التي تضرُّه والتي تنفعُه...».

وقال البهوتي: «ويؤاخَذ السكران ونحوه بأقواله وأفعاله، وكلّ فعل يعتبر له العقل من قتل وقذف وزنا وسرقة وظهار وإيلاء وبيع وشراء وردّة وإسلام ونحوه كوقْف وعارية وقبض أمانة...»، هذا هو المعتمد في المذهب عند الحنابلة، وعندهم رواياتٌ أخرى.



والرّاجح في وقف السّكران عدم صحّته بحالٍ، لا ابتداءً ولا مشروطًا بإجازة أحدٍ، ولا موقوفاً على شيءٍ آخر، للوجه المشار إليه عند ابن تيميّة سابقاً، ولجمهرةٍ من الأدلّة بسطَها رحمه الله.

١- السَّفَه

والسَّفيه في اللّغة: «السين والفاء والهاء أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على خفّة وسخافة، وهو قياسٌ مطّرد، فالسَّفَه ضدّ الحلم»، والسَّفَه لا ينافي العقل، وإنّما ينافي كمالَه المعبَّر عنه بالرُّشد، والمراد به في هذا السّياق: الرُّشد المتعلّق بالإحسان في تدبير المال، وإن كان صاحب التصرُّف فاسقاً قليل الدّين، فمن لم يكن يُحسن تدبير المال، ويسعى في تضييعه فيما لم يُجعَل المال لأجله شرعاً، فهو سفيهٌ حكماً، وإن كان صحيح الدّين مرضيّ السّلوك في النواحي الأخرى.

قال ابن الهمام في بيان معنى السَّفَه نقلاً عن (العناية): هو «خفّةٌ تعتري الإنسان؛ فتحمله على العمل بخلاف موجَب الشّرع والعقل، مع قيام العقل، وقد غلب في عُرف الفقهاء على تبذير المال وإتلافه على خلاف مقتضى الشرع والعقل».

والأصل في ذلك قولُه -تعالى-: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾.

وقد أخذ الفقهاء من هذه الآية أنّ الحَجْرَ يرتفعُ عن الصّغير، وتكتملُ أهليّتُه للتصرُّف في المال بشرطين لا بدّ منهما:

الأوّل: البلوغ.

الثاني: الرُّشد.

والآية تنصُّ عليهما بوضوح، فالصغير إذاً إمّا أن يبلُغَ رشيدًا، أو يبلُغ غير رشيد، فإنْ أُونسَ منه الرُّشدُ بعد بلوغه دُفع إليه مالُه بإجماع الفقهاء، لتحقُّق الشرطَّين واكتمال أهليّة التصرُّف فيه.

وإن بلغَ ولم يُعرَف منه الرُّشد، فذهب السّواد الأعظم من الفقهاء في هذه الحالة إلى أنّها ليست كالحالة الأولى، فلا يُدفَع إليه مالُه، واختصّ أبو حنيفةَ -رحمه الله- بأنْ جعل للحَجْر في هذه الصورة غايةً ينتهي إليها، وهي بلوغ خمس وعشرين سنةً!

ولا شكّ أنّ قول الجمهور بمنع صحّة الوقْف أقرب إلى الصّواب والرّجحان، إلّا أنّ الجمهور ليسوا على قولٍ واحد في الصّور كلها، فعند أبي يوسف: يصحّ وقفُه إلّا إذا حَجَرَ عليه القاضي؛ فاستمرارُ الحَجْر عندَه بعد البلوغ يكون بالقضاء، وعند المالكيّة والشافعيّة: إذا بلغ سفيهًا فحُكم الحجر باقٍ عليه للآية، وإن رَشَدَ ثمّ سَفِهَ، لا يحجر عليه إلا القاضي.

واستثنى بعض الحنفيّة صحّة وقف السّفيه على نفسه! على أن يكون آخر الوقف لجهة لا تنقطع.

ثالثاً: الحريّة.

فالعبد المملوك لا يصحّ وقفُه، لأنّه لا يملك؛ فلا يصحّ تصرُّفه، إلّا إذا أَذِنَ له سيّده بذلك؛ فإنّه يكون نائبًا عن المالك في ذلك، وقد اتّفق الفقهاء على أنّ كلّ عقود التبرّعات والمعاوضات يُشترط لها ملك العاقد للعين المعقود عليها، أو الإذن له في التصرُّف فيها، وإذا كانت الحريّة مشروطةً في الواقف لتحقُّق الملك الخالص بها، فممّا يعرِضُ لهذا الشّرط، الحَجْر بسبب الإفلاس.

وقف المفلس

المفلس محجورٌ عليه في تصرُّفاته الماليّة حفظًا لحقّ غرمائه، والحَجْر: المنع والتضييق، وفي اصطلاح الفقهاء يدور معناه على منع الإنسان من التصرُّف في ماله، ومن عباراتهم في تقرير هذا المعنى:

قال الحنفيّة: «منعٌ عن التصرُّف قولاً لا فعلاً، لِصِغَرٍ ورقٍّ وجنون».

وقال المالكيّة: «صفةٌ حُكميّة تُوجب منع موصوفها من نفوذ تصرُّفه فيما زاد على قُوّته، أو تبرُّعه بزائد على ثلث ماله».

وقال الشافعيّة: «المنع من التصرُّفات الماليّة».

وقال الحنابلة: «منع الإنسان من التصرُّف في ماله».

وأسباب الحَجْر عند الفقهاء متنوّعة؛ منها الصِّغَر، والجنون، والسَّفَه على خلافٍ، ومنها الإفلاس.

والمفلس الذي نريدُه هنا هو المَدين الذي نادى عليه القاضي بمنعه من التصرُّف في ماله حفظًا لحقّ غرمائه، وهو من لا يفي مالُه بدَيْنِه اللّازم الحالّ.

تصرُّفات المفلس الماليّة

إذا عُرِفَ هذا، فالفقهاءُ قد فرّقوا في تصرُّفات المفلس الماليّة التي تقع بعد يحكُم عليه القاضي بالحَجْر بعد وصوله إلى حالة الإفلاس، وبين تصرُّفاته بعد إفلاسه وقبل أن يحجُر عليه القاضي، ونحن ننظُر إلى حُكم وقفه في الحالتين:

الأولى: وقف المفلس المحجور عليه قضائيًّا: ذهب جمهور أهل العلم إلى عدم صحّة وقفه، خلافاً لأبي حنيفة وصاحبه زُفَر، وهذا القول هو الصّحيح الرّاجح، واختاره شيخ الإسلام، وتلميذه ابن القيّم، وهو قولٌ منصورٌ بأدلّةٍ نقليّة وعقليّة ظاهرة.

الثانية: وقف المفلس قبل أن يحجر عليه القاضي: والخلاف في هذه الصّورة أوسع من سابقتها؛ فقد ذهب إلى عدم صحّة الوقف جماعةٌ من الحنفيّة، واختاره شيخ الإسلام وابن القيّم، وهو مذهب المالكيّة، لكنّهم جعلوا نُفوذَه موقوفاً على إجازة صاحب الحقّ، وهو وجيهٌ جدًّا.

وذهب الحنفيّة في المعتمد، والشافعيّة والحنابلة إلى صحّة وقفه، بناءً على أنّ الحجر لا يكون إلّا قضائيًّا، ولا يأخذ حكمَه إلى بحُكم حاكم.

وختاماً للكلام على هذا الضّابط، فهذه الشروط الثّلاثة (البلوغ والعقل والحرية) هي التي تتمثّل فيها أهليّة الواقف عموما، وقد عرفتَ ما يمكن أن يعرِضَ لها على نحو مجمل أيضاً، فصحّة الوقف منوطةٌ بتوفُّر هذه الشّروط وانتفاء ما سُقْناهُ تحتها من موانعَ.



وصايا من ذهب

فويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

كتبت: بدرية وخيرية الفيلكاوي

حكت كتب التاريخ عن وزير ظلم امرأة بأخذ مزرعتها وبيتها؛ فشكته إلى الله؛ فأوصاها مستهزئاً بالدعاء في ثلث الليل الآخر؛ فأخذت تدعو عليه شهراً؛ فابتلاه الله بحاكم فوقه قطع يده وعزله وأهانه.

فمرت عليه وهو يجلد فشكرته على وصيته، وقالت:

إذا جار الوزير وكاتباه
وقاضي الأرض أجحف في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل
لقاضي الأرض من قاضي السماء

إنما هذا جزاء الظلم، ومعنى الظلم هو مجاوزة الحد، والظلم وضع الشيء في غير موضعه.

والظلم أنواع: كظلم الإنسان في حق الله: ومنها الشرك، وهو أظلم الظلم ، قال -تعالى-: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان:١٣)، ومنها التعدِّي على حدود الله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة:٢٢٩).

ومن أنواع الظلم ظلم العباد فيما بينهم. وكان السلف يخافون الظلم وعاقبته، قال سفيان الثوري: «إن لقيت الله -تعالى- بسبعين ذنبًا فيما بينك وبين الله -تعالى- أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد»؛ وذلك أن الذنوب يغفرها الله -سبحانه وتعالى- ويعفو عنها، إذا كانت غير متعلقة بحقوق العباد. والظلم يكون بالقول، كالغيبة، والنَّميمَة، والسخرية، والسباب، والتنابز بالألقاب، والاستهزاء، ونحو ذلك.

أو يكون الظلم بالفعل كالقتل بغير حق، وأخذ أرض الناس أو شيء منها، قال -ﷺ-: «من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين» رواه البخاري (٣١٩٨).

والظلم الواقع بالأسر كظلم الأولاد لوالديهم بعقوقهم، وتَفضيل بعض الأولاد على بعض بالعطايا والهبات، وظلم الأزواج لزوجاتهم ومنع حقهنَّ بالصداق، أو النفقة، وظلم الزوجات لأزواجهنَّ بتقصيرهن في حقهم، وإنكار فضلهم، وظلم البنات بعضلهنَّ عن الزواج، قال -تعالى-: ﴿وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ (النساء: ١٩)، والمعنى: لا يحل لكم إرث النساء، ولا عضلهن، أي ولا التضييق عليهن، لأجل أن تذهبوا ببعض ما آتيتموهن، أي أعطيتموهن من ميراث، أو صداق، أو غير ذلك.

ومن ظلم العباد بعضهم بعضا ظلم العمال، ويكون إما بعدم إعطاء العامل أجره أو بخس حقه أو تأخيره، قال رسول الله -ﷺ- «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًّا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره» رواه البخاري (٢٢٢٧).

ومن الظلم أكل أموال الضعفاء كاليتامى: قال -تعالى- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠)؛ فقد حذر الله -تعالى- في أكثر من آية في الوعيد كقوله: ﴿وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (النساء) كما حذر النبي -ﷺ-: «واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» رواه البخاري (١٤٩٦).

وللظالم عاقبت وخيمة، ونهاية أليمة؛ فقد جعل الله عقوبة الظلم معجلة في الدنيا: «ما من ذنب أجدر أن يُعجِّلَ اللهُ -تعالى- لصاحبه العقوبةَ في الدنيا مع ما يَدَّخِرُه له في الآخرةِ من البَغْيِ، وقطيعةِ الرَّحِمِ» صحيح الجامع.

فقد ذكر لنا القرآن أكبر الطغاة الظلمة الذين عجل الله بعذابه، إنه فرعون ﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾(القصص: ٤)؛ فكانت النتيجة ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٤٠).

ولما حُبس خالد برمك وولده في نكبة البرامكة، قال: يا أبت بعد العز صرنا في القيد والحبس؛ فقال يا بني دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها.

ولربما تأخرت إجابة الدعوة، والله ليس بغافل عما يعمل الظالمون، ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء﴾ (إبراهيم:٤٢-٤٣).

وقد يكون هذا التأخير لحكمة «إن الله ليُملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلتْهُ» رواه البخاري٤٦٨٦.





فوضى فكرية

كتب: د. هناء الأيوب

من البديهي أنه لولا اتباع نظم المرور وقوانينه وإرشاداته لما تمكنَّا من السير في الشارع بأمان، ولولا الالتزام بأوقات الحصص واتباع القوانين المدرسية لعمت الفوضى في المدارس في كلِ مكان، كما أن تغيب الوالدين عن أبنائهما لفترات طويلة، دون وجود من ينوب عنهما لتنظيم أحوال الأسرة قد يولِّد تفككا أسريًا وضياعا للأبناء، ولا يمكننا العيش في أمن وسلام لو لم تسن قوانين تجرم المجرمين، وتلاحقهم وتعاقبهم.

فما بالنا نسمع أصواتا ترتفع بين الحين والآخر تطالب بالتحلل من بعض القوانين الإلهية، التي سنَّها مالك الملك لتنظيم الحياة وتقنين الأهواء؟! بالرغم من تأييدها لأهمية تطبيق القوانين واللوائح الوضعية في المجتمع، وباتت تشكك في بعض الثوابت الدينية، بل وترفض بعض مكونات شريعتنا الإسلامية من تشريعات قد سنّها مالك الملك، فقط لكونها لا توافق هواهم، ولا تتناسب مع مصالحم الذاتية رغم عدالتها! ألم يقل -جل جلاله-: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ سورة الملك(١٤)؟!

هم يتبعون أهواءهم، مغترين بتفسيراتهم الذاتية بمعزل عن الضوابط الشرعية، المستنبطة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، كما فهمها الصحابة -رضوان الله عليهم-، ومن تبعهم بإحسان من الصالحين، والفقهاء وعلماء الدين، وقد وجه الرحمن -عز وجل- خطابا لمثل هؤلاء بقوله -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة:٥٠)؟!

هم كثيرا مَا يهاجمون الملتزمين في شتى وسائل الإعلام، ووسائل التواصل الاجتماعي، ويظهرون سخرية بمظاهر الالتزام بتعاليم الدين وشعائره، وينادون بالتخفف منها شيئا فشيئا، في حين أنهم من أشد الناس هجوما واستهزاءً بالدِّين وأهله، إلا أنهم كثيرا ما يدّعون أن رجال الدين ينصبون لهم العداء والبغضاء؛ ذلك لأنهم أعداء لما يجهلون!

نراهم تارة يقعون في شبهات شركية عقدية، وتارة أخرى يحوِّرون أحكاما فقهية، مطالبين بعزل الدين عن الدنيا والابتعاد عن الخطاب الديني في حل الأزمات المعاصرة لمجتمعنا، بل إنهم - وباسم الحرية الفكرية أو الليبرالية، أو العلمانية - لايؤيدون الأمر بالمعروف أوإنكار المنكر، ولو كان بألطف الأساليب، ويطعنون في أحكام شرعية قطعية قد أُجمع عليها، كإباحة بعضهم للربا في المعاملات المالية، أو تهميش آخرين لحجاب المرأة المسلمة، وعدَّه أمرًا اختياريا لايلزمها، وقد يحاربونه مدعين - عمدًا أو جهلاً - أنه غير مفروض على المرأة شرعًا، بل قد وصل الأمر بهم إلى حث الأخريات على نزعه، وتوجيه المباركات لهن بعد استجابتهن لدعواتهم التحررية!

أقول لهؤلاء: مهلاً! هلّا أفصحتم عن حقيقة انتمائكم؟! هل للإسلام أم لغيره؟!

فإن أقررتم بانتمائكم للإسلام نقول لكم: أو ليس الخالق بأعلم بمصلحة المخلوقين من أنفسهم؟ ألم تقرؤوا قول الله -تعالى-: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم:٣٢)؟!، وقوله -عز وجل-: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب:٣٦)؟!

إن الأمر خطير جدا؛ حيث إننا نجد - ولاسيما في السنوات الأخيرة الماضية - كثيرا ممن يساندون هؤلاء، ويؤازرونهم، ينشرون أفكارا غريبة، فيها مخالفات صريحة لأصول الدين وثوابته، بل كثيرا ما نقرأ لهم، ونسمع منهم كلامًا قد يحمل في طياته تحللا عقديًا، أو إلحادا مقنَّعًا، وإن كانوا غالبًا لا يصرحون بذلك!

لقد كاد كثير منهم أن ينسلخ من كل مظهر إسلامي شيئًا فشيئًا، بل وربما قد تبرأ بعضهم تدريجيا من الانتماء إلى دينٍ بعينه والعياذ بالله، مغترين بما تمليه عليهم عقولهم من تحليلات، وبما تقودهم إليه أهواؤهم من تأويلات، قال -جل وعلا-: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (النمل:٢٤).

لا شك أن السبب الرئيسي الذي يكمن وراء تلك الظواهر هو ضعف الإيمان بالله ابتداءً، ثم الاغترار بالعقل الذي يعيش في حالة فوضى فكرية عارمة، من جراء بُعده عن الشرع، فيقل توقير الله -سبحانه وتعالى- في القلب، فيُستهان بأوامره، وتقبل نواهيه، أما من ازداد إيمانه بالله -تعالى-، ووقَّره في قلبه، وأسلم له عقله، وأصلح على هداه فكره، نراه يعظِّم أوامر الله -تبارك وتعالى-، ويستعظم ارتكاب النواهي والزواجر ويستهجنها.

التربية لا تعني العقاب!

كتبت: سحر شعير - باحثة في شؤون الدعوة والتربية

يخطيء المربي حين يختزل عملية التربية في إنزال العقوبة على الأبناء إذا أخطؤوا، وغالباً لا يحدث ذلك إلا نتيجة تراجع المعرفة التربوية لدى المربي بقواعد التربية الإسلامية الصحيحة، وبخصائص مراحل النمو المختلفة التي يجتازها الأبناء من الطفولة إلى الرشد، وقد يرث المربي أسلوباً تلقاه في صغره، يعتمد على إنزال العقاب على كل صغيرة وكبيرة، ويتصور أن هذا هو الأسلوب الأمثل، ويريد أن يطبقه على أبنائه، إنّ هذا التصور يظلم الطفل كثيراً، ويجعل المناخ العام لعملية التربية شديد الكآبة لدى الابن الذي يتوقع دائماً العقاب، وكذلك المربي؛ حيث يشعر أنه غير ناجح تربوياً، ويظل دائماً غير راضٍ عن ولده.

العقاب ليس أساس التربية

لا يصلح أن يكون العقاب أساس التربية؛ فالتربية كلمة كبيرة ومهمة عظيمة وربانية، ولا يمكن أبداً أن تختصر في العقاب بأنواعه؛ فقبل أن نفكر في العقاب، علينا أولا أن نوفر للطفل أركان التربية الناجحة، وأهمها:

- القدوة الصالحة المنضبطة الثابتة على القيم، والمدربة للطفل على تطبيقها عملياً .
- المنهج التربوي الصحيح المستقى من تعاليم الدين الحنيف.
- معرفة حقوق الطفل وأداؤها إليه، ومعرفة حاجاته وإشباعها.
- التركيز على إشعار الطفل بالقبول والحب والتقدير لذاته.

المربي الناجح يعاقبُ نادراً

منذ البواكير الأولى لنضج الابن نفسياً وعقليا يشعر بحاجته الماسة لسلطة ضابطة، وموجهة له لعدم قدرته على التمييز بين الصواب والخطأ بمفرده؛ لذلك فهو يتطلع دائماً لإرشاد الوالدين وتوجيهاتهم، وليس من المقبول أبداً أن تكون السلطة الضابطة ضائعة وغائبة باسم العطف والحنان والشفقة؛ فما أُتِي الأولاد في أخلاقهم وسلوكهم إلا من غياب أو تدني هذا الدور الضابط لسلطة الوالدين داخل الأسرة، ولكن هذا لا يعني أن يتحول دور الوالدين إلى سلطة غاشمة قاهرة، لا تعرف من معاني التربية إلا الشدة والعقوبة.

مناخ أسري دافىء

الاعتدال يقتضي أن ينشأ الأبناء في مناخ أسري دافىء، يشعرون فيه بالحب الغامر من الوالدين وبالتقدير لذواتهم، وينعمون بالعيش داخل أسرة منضبطة لها نظام وقواعد أخلاقية ودينية ثابتة، مصدرها القدوة العملية الثابتة المتمثلة في شخص الوالدين، ولا بأس أن يستخدم العقاب للمخطىء بميزان حساس متدرج، وليكن قليلا نادراً، كنسبة الملح إلى الدقيق إذا أردنا أن نصنع خبزاً طيباً .

المربي الأعظم

ولنا في رسول اللهﷺ أسوة حسنة وهو المربي الأعظم، يرويها من تربى في حجرهﷺ عشر سنوات، عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول اللهﷺ من أحسن الناس خلقاً؛ فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي اللهﷺ؛ فخرجتُ حتى أمرّ على صبيان وهم يلعبون في السوق؛ فإذا رسول اللهﷺ قد قبض بقفاي من ورائي قال: فنظرتُ إليه وهو يضحك



لا يصلح أن يكون العقاب هو أساس التربية؛ فالتربية كلمة كبيرة ومهمة عظيمة وربانية

فقال: يا أنيس أذهبتَ حيث أمرتُك؟ قال: قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله، قال أنس: والله لقد خدمته تسع سنين ما علمتُه قال لشيء صنعتُه لم فعلتَ كذا وكذا، أو لشيء تركتُه هلاّ فعلتَ كذا وكذا»(رواه مسلم).

غاية العقاب

فما أعظم هذا الموقف والأسلوب التربوي المعجز الذي يتضح منه أن غاية العقاب هي تعليم الطفل الصواب من الخطأ؛ فيتحفز تجاه الصواب، ويثبت عليه، ويمتنع عن تكرار الخطأ وينزجر عنه.

وإليكَ عزيزي المربي أهم ضوابط العقاب التربوي المثمر:

الخطأ لأول مرة

– تجنب العقاب إذا صدر منه الخطأ لأول مرة؛ لأن الطفل الصغير لا يستطيع أن يعرف الآثار التي تترتب على فعله، وذلك لقلة خبرته؛ فلا نعاقبه إلا بعد تكرار الخطأ، وعلينا محاولة إصلاحه بأساليب الثواب، ثم بأساليب العقاب، مع إرشاده للصواب والسلوك البديل.

الطفل البريء

– لا تقرر عقاباً على الطفل وهو بريء: وهذا يتطلب منا الحذر ومراعاة التيقن من أن الخطأ قد صدر من الطفل وليس من رفاقه؛ فكثير ما يلجأ الأطفال إلى الكذب الدفاعي أوالانتقامي، وقد يقدم الواحد منهم قصصاً مقنعة؛ فتتحول العقوبة إلى غيره بسببه؛ لأنه أسنّ وأقوى حجة؛ فلننتبه لذلك.

النسيان أو الإكراه

– لا تعاقب الطفل على ما صدر منه خطأ أو نسياناً أو إكراهاً: إنّ الله –تعالى– برحمته ولطفه بعباده، قد تجاوز عنهم في الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه، فقد ورد عن النبيﷺ أنه قال: «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»(رواه ابن ماجة رقم:٢٠٤٣)، وهذه المواقف كثيراً ما تقع للأبناء في مراحل النمو والتعلم، والله –تعالى– عفا عن الكبار المكلفين في مثل هذه الحالات؛ فكيف بالأطفال الصغار الذين لم يبلغوا سن التكليف بعد؟!

خطأ سبب له ألماً

– لا تعاقب الطفل على خطأ سبب له ألماً؛ لأن هذه الآلام في حدّ ذاتها عقوبة بالنسبة له؛ فحسبه إذاً ما ناله من ألم، ولا داعي لتوبيخه في هذه الحالة؛ فإن ذلك يزيده ألماً، ولاسيما إذا خسر شيئاً شخصياً، كتعطل لعبته مثلاً، أو إصابته بجرح، أو لسعة من إناء ساخن، لكن لا مانع أن نشرح له أن سبب ذلك هو عدم التزامه بتعليماتنا، أو عدم اكتراثه بتحذيراتنا، وأن عليه أن يتحمل نتيجة عمله؛ فإذا كانت آلامه كبيرة، أجلنا ذلك الشرح ريثما يهدأ ويتحسن.

كثير الحركة

– لا تعاقب طفلك لكونه كثير الحركة: إنّ كثرة الحركة والنشاط من خصائص مرحلة الطفولة، وهي دليل على سلامة الطفل ونموه نموا طبيعيا؛ فليس من العدل أن نعاقبه على ذلك، أو أن نقيد حركته، لكن لا مانع من إرشاده وضبط سلوكه.

مشكلات خارجة عن إرادته

– لا تعاقب طفلك إذا كان يعاني مشكلات خارجة عن إرادتــه: مثل الاضطرابات النفسية، كالخوف، أو تعثر اللسان، أو كانت قدراته العقلية دون المتوسط؛ فأدت إلى انخفاض مستواه الدراسي؛ لأن العقاب في هذه الحالة يزيد المشكلة تعقيداً، وقد يفرز مشكلات نفسية أخرى.

الاعتراف بالخطأ

– لا تعاقب الطفل إن اعترف بخطئه، وإلا فإن الإصرار على معاقبته رغم اعترافه، سيدفعه إلى عدم الاعتراف بأي خطأ في المستقبل، بل علّمه عملياً أنّ (الصدق منجاة وإن رأيتم فيه الهلكة).

العقاب على قدر الخطأ

– ليكن العقاب على قدر الخطأ؛ فلا نوقع العقاب الصارم على الخطأ البسيط، كما لا يصح إهمال العقاب على خطأ جسيم، أو سبق التنبيه عليه.

ولا يفوتنا – عزيزي المربي – أن نذكرك أيضاً بتجنب معاقبة الطفل، إلا بعد أن نسدي له النُّصح والتوجيه بشأنه، وأن نتغاضى عن الهفوات الصغيرة، و أن يكون العقاب بعيدًا عن إخوته والنَّاس؛ لأنَّ فيه إهانة له.

ولنعتمد أسلوب التقليل من العقوبات البدَنيَّة قدر المستطاع، في مقابل العقوبات النفسية مثل العبوس، أو الانقباض، أو الخصام، على أن يتبادل الأبُ مع الأم أدوارَ العقاب، حتى لا يتولَّد لدى الولد شعورٌ بعدم الارتياح لأحد الوالدين.

ابني كثير الحركة

استشارة: ابني كثير الحركة واللعب؛ مما يسبب ضوضاء في المنزل، كيف أعاقبه؟

الجواب: كثرة الحركة والاشتغال باللعب يومياً من خصائص النمو الطبيعية في مرحلة الطفولة المبكرة، وهي تدل على أن الله –تعالى– قد رزقك طفلا سويّا، ينمو نموا طبيعيا، ومن أكبر الأخطاء، بل من الظلم أن تعاقبيه على شيء هو من طبيعته، وليس خطأ ارتكبه أو إساءة أدب.

وعليك أن تزيدي من معارفك التربوية عبر القـراءة، أو مطالعة المواقع التربوية المتخصصة على شبكة الإنترنت، كي تتعرفي على خصائص مراحل النمو الطبيعية للطفل؛ وبذلك تتفهمين تصرفاته تفهما صحيحا، ومن ثمّ تتقبلينها.

كذلك عليك بالصبر؛ فالصبر سلاح المربي الناجح؛ فبغير الصبر على تطورات نمو الأبناء واختلاف تصرفاتهم تبعاً لكل مرحلة، سيكون المربي عائقا لنموهم بشكل السليم.

أخيرًا اشغلي نفسك بأشياء نافعة لتستثمري بها وقتك بجانبهم، مثل سماع القرآن الكريم، أو عمل الحلوى وما شابه؛ فيتحقق لكِ الجمع بين متابعتهم والانتفاع بوقتك، وستجدين نفسك قد هدأتِ كثيراً عن ذي قبل.



فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

السبيل إلى معرفة حقيقة التوحيد

■ **كيف السبيل إلى معرفة حقيقة التوحيد اعتقادا وسلوكا وعملا؟**

● الطريق -بحمد الله- ميسر؛ فعلى المؤمن أن يحاسب نفسه، ويلزمها الحق، ويتأثر بالمطبقين للنصوص على أنفسهم؛ فيستقيم على توحيد الله والإخلاص له، ويلزم العمل بذلك، ويدعو إليه، حتى يثبت عليه، ويكون سجية له لا يضره بعد ذلك من أراد أن يعوقه عن هذا أو يلبس عليه، المهم أن يعنى بهذا الأمر ويحاسب نفسه، وأن يعرفه جيدا حتى لا تلتبس عليه الأمور، وحتى لا تروج عليه الشبهات.

أنواع الخلود في النار

■ **ورد في الحديث: أن من قتل نفسه يعذب بما قتل نفسه به وأنه مخلد في النار.**

● نعم صح عن النبيﷺ أنه يعذب بما قتل به نفسه، ولكن الخلود خلودان، ينبغي أن يعلم أيها الإخوة الخلود في النار خلودان:

خلود دائم أبدًا؛ فهذا للكفار نعوذ بالله، لا يخرجون منها أبداً، كما قال -جل وعلا-: {كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} (البقرة:١٦٧)، وقال: {يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ} (المائدة:٣٧) نعوذ بالله.

الخلود الثاني: خلود مؤقت لكنه طويل، خلود مؤقت لكنه طويل؛ فهذا توعد الله به من قتل النفس بغير حق، من قتل مؤمنًا بغير حق فتوعده الله بالخلود، وهكذا من قتل نفسه بحديدة أو بسُمٍّ توعده الله بالخلود.

وهذا الخلود ليس بدائم، خلود له أمد ينتهي إليه، كما قال أهل السنة والجماعة، ولا يخلد الخلود الدائم أبدًا إلا الكفار، أما العصاة إذا دخلوا النار فيعذبون على قدر معاصيهم، لكن لا يخلدون أبد الآباد.

فقاتل نفسه متوعد بالنار والخلود فيها، والذي يقتل مؤمنًا بغير حق متوعد بالنار أيضاً والخلود فيها، لكنه خلود مؤقت له نهاية، ثم يخرجون منها إلى الجنة بعد ذلك، وهكذا من مات وهو زان، أو يشرب الخمر، أو يسرق، أو عاق لوالديه ولم يتب، متوعد بالنار نعوذ بالله، لكن لا يخلد فيها، إن دخلها لا يخلد فيها، وإن عفا الله فعفوه أكبر-عز وجل-، وهكذا بقية الكبائر، نسأل الله السلامة.

إذا أمر الوالد الولد بطلاق زوجته هل يطيعه؟

■ **تزوجت فتاة وأحببتها، وبعد شهور عدة بدأ الخلاف بيننا وبين الوالدين، لكونها تختلف مع إخوتي الصغار، والدي يقول: إنها تنقل أسرارنا إلى الجيران، وطلب مني أن أطلقها، ما رأيكم؟**

● لا تعجل ، وانصحها حتى لا تفعل ما تخالف رأي والديك من نقل الأسرار إلى الجيران، انصحها وعلمها، وخبرها أن هذا لا يجوز، وأن عليها السمع والطاعة في المعروف؛ فأنت تنصحها وهي عليها السمع والطاعة، والوالدان كذلك لا يعجلان في طلب طلاقها، وينصحانها بالكلام الطيب، والأسلوب الحسن حتى تزول المشكلة، وحتى تستقر الأمور، ولا تعجل في الطلاق؛ لأن هذا مرض يحتاج إلى علاج؛ فعليك بعلاجها بالكلام الطيب، والأسلوب الحسن، والترغيب والترهيب، وهكذا الوالدان عليهما بالكلام الطيب، والأسلوب الحسن حتى تزول المشكلة إن شاء الله، وتهدأ الأمور، وتستمر العشرة بينكما.

مسألة في قتل الخطأ

■ عمري ثلاث عشرة سنة، كان معي صديق وتمازحت أنا وإياه على البندقية، وطارت مني البندقية فوقعت عليه فمات، وتنازل أهله وقد دفعنا ديته، أفيدونا جزاكم الله؟

● عليك الكفارة، إذا تمازحت أنت وإياه بالبندق وطارت البندق منك وقتلته فعليك الدية والكفارة، والدية سمحوا عنها؛ فعليك الكفارة وهي: عتق رقبة مؤمنة؛ فإن لم تجد فصيام شهرين متتابعين هذه الكفارة، عتق أولاً إذا تيسر؛ فإن لم يتيسر العتق، وجبت الكفارة الثانية، وهي صيام شهرين متتابعين، عليك أن تقوم بذلك حسب الطاقة في الوقت المناسب، نسأل الله لنا ولك العون.

حكم الإجهاض

■ **ما حكم الإجهاض في الإسلام؟ وهل يجوز في مدة معينة؟**

● هذا فيه تفصيل فأمره عظيم، الإجهاض أمره عظيم وفيه تفصيل: إذا كان في الأربعين الأولى؛ فالأمر فيه أوسع إذا دعت الحاجة إلى إجهاض؛ لأن عندها أطفالا صغارا تربيهم ويشق عليها الحمل، أو لأنها مريضة يشق عليها الحمل فلا بأس بإسقاطه في الأربعين الأولى.

أما في الأربعين الثانية بعد العلقة أو المضغة، فهذا أشد، وليس لها إسقاطه، إلا عند عذر شديد كمرض شديد، يقرر الطبيب المختص أنه يضرها بقاؤه؛ فلا مانع من إسقاطه بهذه الحال عند خوف الضرر الكبير.

وأما بعد نفخ الروح فيه بعد الشهر الرابع؛ فلا يجوز إسقاطه أبداً، بل يجب عليها أن تصبر وتتحمل حتى تلد إن شاء الله، إلا إذا قرر طبيبان أو أكثر مختصان ثقتان أن بقاءه يقتلها وسبب لموتها؛ فلا بأس بتعاطي أسباب إخراجه حذراً من موتها؛ لأن حياتها ألزم عند الضرورة القصوى بتقرير طبيبين فأكثر ثقات من أن بقاءه يضرها، وأن عليها خطراً بالموت إذا بقي؛ فلا بأس، إذا وجد ذلك بالشروط المذكورة؛ فلا حرج في ذلك إن شاء الله.

وهكذا لو كان مشوهاً تشويهاً يضرها لو بقي يكون فيه خطر عليها، قرر طبيبان فأكثر أن هذا الولد لو بقي عليه خطر الموت لأسباب في الطفل؛ فهذا كله يجوز عند الضرورة إذا كان عليها خطر، وخطر الموت بتقرير طبيبين أو أكثر مختصين ثقتين.

حكم كتم الشهادة

■ **لي بعض الحقوق عند آخرين، ووصلنا المحكمة، وهناك بعض إخواننا يعرفون كل شيء فيما بيننا، وطلبت شهادتهم ولكنهم -مع الأسف- لم يشهدوا؟**

● نسأل الله لنا ولهم الهداية، يقول ربك -جل وعلا-: ﴿وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾(البقرة:٢٨٣)، إذا كتموها وهم يعلمون عليهم إثم، ولا يجوز لهم ذلك، أما إن كان عندهم شك فلا حرج عليهم، فإذا لم يكن عندهم ضبط فلا يجوز لهم الشهادة وهم غير ضابطين، فلا يجوز لهم المجاملة لأجل حقك عليهم، أو لأنك صاحبهم لا؛ فالشهادة أمرها عظيم؛ فإذا كان عندهم علم وجب عليهم الأداء، وحرم عليهم الكتمان، أما أن يشهدوا لأجل أنك صاحبهم بالشبهة أو بالشك فهذا لا يجوز، مثل ما يفعل بعض البدو وبعض الحضر أيضاً ما دام صديقًا له، يقول: أنت صديقي وتعرف أني صادق اشهد لي، هذا لا يجوز، ولو أنك أخوه ولو أنك صادق، لا يشهد إلا بالأمر الواضح وإلا شهادة الزور من أقبح الكبائر! نعوذ بالله؛ فلابدّ أن يشهد الإنسان بشيء يعلمه، أما قوله: أنك تعرفني، وأنا الحمد لله صدوق، وأنا وأنا وأنا اشتريت من فلان كذا أو بعته كذا اشهد لي هذا لا يجوز، ولو كان من الصحابة فلا يجوز أن يشهد له بغير حق.

حكم التميمة من القرآن

■ **ما حكم التميمة من القرآن ومن غيره؟**

● أما التميمة من غير القرآن كالعظام، والطلاسم، والودع، وشعر الذئب، وما أشبه ذلك فهذه منكرة محرمة بالنص، لا يجوز تعليقها على الطفل ولا على غير الطفل؛ لقولهﷺ: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له»، وفي رواية: «من تعلق تميمة فقد أشرك»، أما إذا كانت من القرآن أو من دعوات معروفة طيبة فهذه اختلف فيها العلماء؛ فقال بعضهم: يجوز تعليقها، ويروى هذا عن جماعة من السلف جعلوها كالقراءة على المريض.

والقول الثاني: أنها لا تجوز وهذا هو المعروف عن عبدالله بن مسعود وحذيفة -رضي الله عنهما- وجماعة من السلف والخلف قالوا: لا يجوز تعليقها ولو كانت من القرآن سدًا للذريعة وحسمًا لمادة الشرك وعملًا بالعموم؛ لأن الأحاديث المانعة من التمائم أحاديث عامة، لم تستثن شيئًا، والواجب الأخذ بالعموم؛ فلا يجوز شيء من التمائم أصلًا؛ لأن ذلك يفضي إلى تعليق غيرها والتباس الأمر؛ فوجب منع الجميع، وهذا هو الصواب لظهور دليله.

فلو أجزنا التميمة من القرآن ومن الدعوات الطيبة، لانفتح الباب، وصار كل واحد يعلق ما شاء؛ فإذا أنكر عليه، قال: هذا من القرآن، أو هذه من الدعوات الطيبة؛ فينفتح الباب، ويتسع الخرق وتلبس التمائم كلها.

وهناك علة ثالثة وهي: أنها قد يدخل بها الخلاء ومواضع القذر، ومعلوم أن كلام الله ينزه عن ذلك، ولا يليق أن يدخل به الخلاء.

أوراق صحفية

الاجتماع والوحدة ضرورة حياة

بقلم: سالم الناشي

رئيس تحرير مجلة الفرقان

لا شك أن الأمة الإسلامية اليوم أشد ما تكون احتياجًا إلى وحدة الصف، وجمع الكلمة، ولم الشمل، وهذا أمر فطري تتعلق به أفئدة المسلمين جميعهم، وإذا كان الاجتماع ضروريًا في كل وقت وحين؛ فالأمة اليوم أحوج إليه بكثير من ذي قبل، وقد أخبر النبيﷺ عن مواجهة المسلمين للمحنة إذا نزلت ببعضهم، وعن البلاء إذا حل بطائفة منهم؛ فقالﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

أخرج الإمام مسلم في (صحيحه) عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ اللهﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكرهُ لكم ثَلاثًا؛ فيرضى لكم: أَنْ تَعبُدُوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جَميعًا ولا تَفرَّقوا، ويكرهُ لكم: قيل وقال، وكثرةَ السُّؤالِ، وإضاعةِ المال».

فمن المصائب التي ابتُليت بها أمَّة الإسلام: (الاختلافُ والتَّفرُّق) التي طالما حذَّرَنا منها القرآنُ، وكذا رسولُ اللهﷺ في السِّلم والحرب، والشِّدَّة والرَّخاء؛ لأنها سببُ كلِّ بلاء وشقاء؛ فالفُرقةُ أخطر الأمراض التي انتشرت في جسد أمَّتنا الإسلاميَّة على مستوى الأفراد والجماعات ومُحيط الأمَّة كلِّها؛ لذلك لابد من معرفة أسباب الفرقة والحذر منها ومن آثارها.

فالفُرقةُ والاختلافُ سببُ هلاك الأُمم، أخرج البخاري في (صحيحه) عن ابن مسعودؓ قال: سَمعتُ رجُلاً قرأ آيةً، وسمعتُ النَّبيَّﷺ يَقْرَأُ خلافها؛ فَجِئتُ به النبيّﷺ؛ فأخبرتُه، فعرفتُ في وَجهه الكراهيةَ، وقال: «كلاكُما مُحْسِنٌ، ولا تَختَلفوا؛ فإنَّ مَن كان قبلكم اختلفوا فهلكوا».

الخلاف يؤدي إلى الفُرقة، والفرقة تؤدي إلى الضَّعف، والضعفُ يُجرِّئ الأعداء علينا، وهذا عين ما يحدثُ الآن؛ فالمرء منا قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوي بجماعته.

لذلك الرجلُ الحكيم أراد أن يعلِّم أولاده دَرسًا عمليًا؛ فجمعهم وأمرهم أن يأتوا بحزمَة من الحطب، ويقوم كلٌّ منهم بكسرها مُجتمعةً؛ فلم يُفلحوا لقوَّتها، ثم أمرهم أن يُفرِّقوا حزمةَ الحطب، ويأخذ كلٌّ منهم عُودًا ويكسره؛ فَكَسَروه؛ فعلموا أن الوَحدة سبيلُ القوَّة، والفُرقَة سبيل الضعف.

والفُرقة سببٌ في محق الخير ورفع البركة، ومن ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه: (بابُ رفع معرفة ليلة القدْرِ لتَلاحي النَّاس)، عَن عُبادَةَ بن الصَّامت، قالَ: خرج النَّبيﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فَتلاحي رجلان من المسلمين، فقال: «خَرجْتُ لأُخبرَكمْ بلَيلَة القدْر، فَتَلاحَى فُلانٌ، وفلانٌ، فَرُفعتْ، وعسى أَنْ يكُونَ خَيرًا لكم؛ فالتمِسُوها في التَّاسِعَة، والسَّابعةِ، والخامسةِ».

من هنا أمر الله رسوله الكريم بما أمر به المرسلين قائلاً: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾(الشورى: ١٣)، وقال -سبحانه-: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾(الأنبياء: ٩٢).

وأمرنا بالصلاة في جماعة، والصيام، والحج، وكل ذلك من مظاهر الوَحدة عند المسلمين؛ فمن المعلوم عن طريق التجربة بعد التاريخ أن الخيوط الرَّفيعة لا تفعل شيئًا بمفردها، أما إذا اجتمعت أصبحت حبلاً متينًا، وحبيباتُ الرِّمال ضعيفة بنفسها؛ فإذا تجمعت أصبحت جبالاً وتِلالاً.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: «والاجتماع والائتلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله -تعالى- ورسولهﷺ، وهذا الأصل العظيم «وهو الاعتصام بحبل الله جميعًا» هو من أعظم أصول الإسلام».

فالاجتماع والوَحدة ضرورة حياة، بها تقوم الحضارةُ وتُقبل الطاعة، ويُمكَّن للمسلمين؛ فسلاح الوحدة يفوق كلَّ سلاح.